

جامعة عبد الرحمان - بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة :

تجليات المكان في القصة الفلسطينية المجموعة القصصية ارض البرتقال

الحزين لغسان كنفاني - أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

إشراف الأستاذ

عمر قلايلية

إعداد الطالبتين:

صونية بن حداد

فطيمة بن مزيان

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لم يشكر الناس، لم يشكر الله ».

الله الفضل من قبل ومن بعد فالحمد لله الذي منحنا القدرة على انجاز هذا العمل المتواضع ، وبعد نتوجه بجزيل الشكر و فائق التقدير والاحترام وأسمى معاني العرفان إلى الأستاذ الفاضل عمر قلايلية على مساعدته لنا في انجاز هذا العمل وعلى جميل صبره وجهوده و نصائحه الصائبة ، ونسأل الله أن يجزيه خيرا.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، والى كل من ساعدنا

من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى من علمني النجاح و الصبر إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب ولم
تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه... أبي

رحمة الله عليه

إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا عليه أُمي الحبيبة
حفظها الله

إلى إخوتي وأخواتي محند أكلي و صفيان و طاهر و فاطمة و وردة و
إلى أصدقائي كنزة و نورة و فاطمة و صبرينة و خلاف .

إلى أرواح شهداء فلسطين

صونية

إهداء

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة.. و نصح الأمة.. إلى نبي الرحمة و نور العالمين..

سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم

إلى من كلفه الله بالهبة و الوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.. أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار و ستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم و في الغد والى الأبد..

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معني الحب و إلى معني الحنان و التفاني.. إلى بسمة الحياة و سر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة

إلى زوجي الذي زرع فيّ الأمل و علمني أن لا أستسلم للفشل و كلما تعثرت سارع إليّ في عجل

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله

إلى من أثروني على أنفسهم

إلى من علموني علم الحياة

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي

إلى كل العائلة و الأصدقاء

فطيمة

مقدمة

مقدمة:

يحضى المكان بدراسة الباحثين و النقاد باعتباره ركيزة مهمة في بناء العمل القصصي وتكوينه، كما أنّ العلاقة بين الإنسان و المكان علاقة جدلية قديمة راسخة فيه، فالمكان مستودع لذكريات القاص لطفولته وشبابه ولمغامراته ولآلامه وأحزانه لحبه وأفراده وضحكاته لذلك لا يمكن أن نتصور بأي حال من الأحوال نتاجا قصصيا منعزلا عن حيز مكاني، فالمكان يعدّ الأداة الأكثر استيعابا لمعاني النص وفنيته، إضافة إلى أنّ العمل الأدبي يفقد أصالته وخصوصيته إذا افتقد عنصر المكان .

ولقد حفزتنا الأهمية البالغة التي يكتسبها المكان القصصي على عرض موضوع المكان في القصة الفلسطينية وتحديدًا في قصص غسان كنفاني، فجاء البحث موسوماً بـ«تجليات المكان في القصة الفلسطينية، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني أنموذجاً». ومن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة الملحة في التعمق في نتاج غسان كنفاني القصصي من جهة و القضية الفلسطينية من جهة أخرى، ذلك أنّ القصة في الأساس هي بناء مكاني وفنّ، وقد كان سبب اختيارنا للمجموعة القصصية «أرض البرتقال الحزين» هو رغبة منّا في كبح الفضول الذي داهمنا اتجاهها، إضافة إلى أنّها تحكي عن مرحلة من مراحل الشعب الفلسطيني، وقد تأسس موضوع هذه المذكرة على محاولة الإجابة عن الإشكاليات التالية: كيف تجلّى المكان في المجموعة القصصية؟ وماهي أشكاله؟ وما الدلالة التي يحملها؟ كما سعينا أيضا إلى الإجابة عن ماهية المكان وما دوره في تشكيل البناء السردي؟ وكيف وظّف كنفاني المكان؟ وماهي الأمكنة المفتوحة والمغلقة في القصة و دلالاتها؟

ولأن أي بحث يقوم على المنهج الذي يستند عليه فإن آليات المنهج التاريخي كانت حاضرة في إقامة هذا البحث من خلال تتبع بعض الظواهر على حقبة الزمنية، وذلك انطلاقاً من المكان في الفلسفة القديمة عند الغرب وعند العرب انتقالاً إلى المكان في الفلسفة الحديثة، إضافة إلى الأحداث التي عرفت القضية الفلسطينية التي تتمثل في الصراع التاريخي و السياسي، واعتمادنا على هذا المنهج ذلك لاستعراض تاريخ تطور السياسة الإسرائيلية و مجرياتها المؤثرة على القضية الفلسطينية . كما لم نغفل آليات المنهج الوصفي التحليلي لعرض هذه القضية عرضاً مرتباً كما هي حالتها في الواقع، فالمنهج الوصفي هنا مكمل للمنهج التاريخي، وأن كلاهما يخدم موضوعنا.

وقد اقتضى مخطط الدراسة أن يتشكل البحث من مقدمة، وفصلين وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها. وقد كان الحديث في الفصل الأول عن مفهوم المكان في اللغة عند ابن منظور، ثم عند الزبيدي وعند الخليل بن أحمد الفراهدي ثم ذهبنا لمفهوم المكان اصطلاحاً وفيه أشرنا إلى اختلاف الآراء حول نسبية المكان، كما تعرضنا إلى المكان في القرآن الكريم، ثم تطرقنا إلى مفهوم المكان في الفلسفة القديمة عند الغرب وعند العرب حيث يختلف مفهوم المكان من فيلسوف إلى آخر فنجد أرسطو يذهب إلى أن المكان هو الحد اللامتحرك المباشر الحاوي، أي أن المكان هو الحيز الذي يحوي الأشياء، ويراه ابن سينا أنه السطح المساوي للسطح المتمكن، وهو ما يكون الشيء مستقراً عليه، ثم انتقلنا إلى مفهوم المكان في الفلسفة الغربية الحديثة لنختم تعريف المكان عند علماء النفس الذين ميزوا بين المكان النفسي و المكان المثالي، ثم توقفنا عند الحضور المكثف للمكان في القصة الفلسطينية وفيه تحدثنا عن مدى أهمية المكان عند القاص الفلسطيني، كما مثلنا ببعض القصص الفلسطينية التي كشفت أن للمكان في تجربة الإنسان الفلسطيني وحياته حضوراً واضحاً ، ودوراً بارزاً مؤثراً ومتأثراً، فقد ترك المكان (الوطن) أثراً كبيراً في بناء

القصة الفلسطينية ، وتجلّى هذا الأثر في كثير من أعمال الكُتّاب الفلسطينيين، ثم انصرفنا إلى الأشكال المكانية في السرد، حيث قسمناها إلى أمكنة مفتوحة ومغلقة وأخذنا نماذج عنها مثلًا (الشارع) باعتباره فضاء مغلق، و (السجن) كفضاء مغلق، ثم تناولنا علاقة المكان بالشخصية وتجلياتها موضحين أهمية المكان في بناء الشخصية في النص القصصي مع دراسة تأثير المكان على شخصياته، وتناولنا أخيرا في هذا الفصل علاقة المكان بالحدث مع دراسة مفصلة للحدث والعلاقة الجدلية بين المكان والحدث. بينما يتناول الفصل الثاني (الجانب التطبيقي)، و الموسوم بـ « تجليات المكان في المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين »، والتي تضمنت القصص التالية، بداية بقصة أبعد من الحدود، ثم انتقلنا إلى قصة الأفق وراء البوابة، لنعرج إلى قصة السلاح المحرم، وبعدها قصة ثلاث أوراق من فلسطين لنصل إلى قصة الأخضر والأحمر، مروراً بقصة أرض البرتقال الحزين، ثم إلى قصة قتيل في الموصل، وفي الختام قصة لا شيء .

وهذا الفصل خصصناه للحديث عن القصص التي ذكرناها سابقا واستخراج دلالة الأمكنة فيها، لنصل في الأخير إلى خاتمة تضمنت أهم الخلاصات و الاستنتاجات التي وصلنا إليها، وقد اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع التي تناولت عنصر المكان و التي شكّلت زاد هذا البحث و مرتكزه العلمي ، ونذكر منها : كتاب جماليات المكان لغاستون باشلار و كتاب نظرية المكان في فلسفة ابن سينا لحسن مجيد العبيدي، وكتاب بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) لحسن بحراوي.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث قلّة الدراسات المتخصصة في المجموعة القصصية المدروسة، إضافة إلى عدم توفر الكتب في مكتبة الجامعة وهذه تعتبر من أهم الصعوبات التي واجهتنا ، ونؤكد على أنّ هذا العمل لم يكن ليستوي على صورته هذه لولا توجيهات أستاذنا المشرف عمر قلايلية ، فله منّا الشكر و الامتنان ، فكل الكلمات

لا تقي بشكره فلك منّا كل الاحترام و التقدير، كما نشكر أيضا كل من قدّم لنا يد المساعدة سواء بالكتب أو حتى بكلمة ترفع من معنوياتنا فجزيل الشكر لهم .

وفي الختام نرجو أن يكون هذا العمل المتواضع فيه إفادة ولو بجزء ضئيل.

في بجاية 10 /06/2018.

الفصل الأول

المكان الماهية و المفهوم

1- مفهوم المكان :

1-1- مفهوم المكان لغة :

أورد ابن منظور في معجمه لسان العرب لفظ مكان تحت الجذر (كَوْن) من الكون (الحدث)، إلا أنه سرعان ما أعاد الحديث عنه تحت الجذر (مكن)، فقال: والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال أو أفذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يُبطل أن يكون مكان فعالاً، لأن العرب تقول كذا مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه.¹

والمكان في أصل تقدير الفعل مفعول، لأنه موضع لكيونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال، فقالوا مكنًا له وقد تمكن.²

والدليل على أن المكان مفعول أن العرب لا تقول في معنى هو مني مكان كذا وكذا، إلا مفعول كذا وكذا بالنصب.³

والمكان أيضا «جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصيلة، لأنّ العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة، ومناير، فشبهوها بفعالة، وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناور»⁴

أمّا الزبيدي في معجمه تاج العروس يذهب إلى أنّ المكان الموضع الحاوي للشيء وعند بعض المتكلمين هو عرض واجتماع جسمين حاوٍ ومحوي... فالمكان عندهم هو

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج47، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1301هـ، ص4251.

² نفسه، ص4251.

³ نفسه، ص4250.

⁴ نفسه، ص4251.

المناسبة بين هذين الجسمين وليس هذا بالمعروف في اللغة قال الراغب (ج. أمكنة) كقذال أو أقدلة، وأماكن جمع الجمع.¹

على الأرجح أنّ المكان مشتق من (كون) على وزن مفعّل من الكون كموضع ومقعد منه فالمكان جمع أمكنة، وأمكن، وجمع الجمع أماكن وهو مفعّل من الكون.

يذهب ابن سيدة في معجم لسان العرب إلى أنّ: المتمكن من الأسماء، ما قبل الرفع والنصب والجرّ لفظاً، كقولك زيدٌ وزيداً، وزيدٌ وكذلك غير المنصرف كأحمد.²

ويقول الجوهري في معجم لسان العرب ومعنى قول النحويين في الاسم إنّه متمكن، أي أنّه معرب كعمر وإبراهيم، فإذا انصرف مع ذلك فهو المتمكن الأمكن كزيد وعمر، وغير المتمكن هو غير المبني ككيف وأين.³

أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد ذكر في معجمه أنّ المكان «في أصل تقدير الفعل مفعّل لأنّه موضع الكينونة»⁴ فركز على معنى (الموضع) دون باقي المعاني.

2-1- مفهوم المكان اصطلاحاً:

إنّ كلمة "المكان" لها كثير من الدلالات، وقد دخلت العديد من الميادين المعرفية، فقد وجدت هذه اللفظة في مختلف الميادين العلمية والأدبية متفقين أو مختلفين في مفهوماتهم لها عما توصل إليه السابقون، ومؤكدين على أحد مدلولاتها فيما يتعلق بذلك العلم، فعلماء

¹ محمد مرتاض الزبيدي، تاج العروس، ج36، دار صادر الكويت، 1422هـ، 2001م، ص189.

² ابن منظور، لسان العرب، ص1451.

³ نفسه، ص1451.

⁴ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج01، ج04، ط1، 1424هـ، 2002م، ص161.

الفيزياء مثلا أكدوا على كون المكان متحركاً وذلك على خلاف نظرية أرسطو فيه، وأثبت هذا الرأي كل من نيوتن وأينشتاين، كما أكد أينشتاين على نسبيته.¹

وعده أيضاً غير ثابت لإمكان تأثره بالجاذبية، ولتغير طوله عن طريق تغير سرعة الجسم بالنسبة للمراقب²

وبهذا يكون المكان عند الفيزيائي ذاتياً لا واقعياً، وهذا خلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين.³

أمّا المكان هندسياً فهو وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وهو " متصل ومتجانس لا تميز بين أجزائه، ذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع.... وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشأ عنهما مفهوم جديد هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد هي الطول والعرض والارتفاع والزمان.⁴

3-1 - المكان في القرآن الكريم :

وردت لفظة مكان في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعاً تحمل دلالات ومعاني متنوعة ومنها ما يأتي: منها ما يدور حول المعنى (الموضع) أو (المحل) كقوله تعالى: « وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذَا انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً »⁵ ؛ أي موضعاً أو محلاً شرقياً عن أهلها أو عن بيت المقدس.

¹ غيداء شلاش ، المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية ، كلية التربية للبنات ، ج11 ، ع 2 ، 2011م ، ص245.

² نفسه ، ص245.

³ نفسه ، ص245.

⁴ نفسه ، ص245.

⁵ سورة مريم ، الآية 16.

ومنها ما جاء بمعنى (بدل)، مثل قوله تعالى: « قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ »¹؛ ومكانه هنا تعني: بدلا منه بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى المنزلة، كما في قوله تعالى: « قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابُ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا »² وشر مكان أي منزلة.

قال تعالى: « إِعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ »³ المكان هنا يعني الطريقة أو المنهج. ويقول أيضا: « وَلَوْ شِئْنَا لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ. »⁴ أي هو مثل مكانهم .

1-4- المكان في الفلسفة الغربية القديمة :

لقد شغلت قضية المكان اهتمام الفلاسفة القدماء، ونجد أنّ أول استعمال اصطلاحى للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون إذ عدّه «الحاوي للموجودات المتكاثرة، ومحل التغيرات والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي.»⁵ أي أنّ المكان هو الحيز الذي يحوي الأشياء.

وبعد أفلاطون Flaton، أخذ مفهوم المكان يحتل أهمية متميزة في أبحاث الفلاسفة، إذ خصصوا له مكانة خاصة في مؤلفاتهم التي تركوها لنا.

¹ سورة يوسف ، الآية 78.

² سورة مريم ، الآية 75.

³ سورة هود ، الآية 121.

⁴ سورة يس ، الآية 67.

⁵ جوادى هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، رسالة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ،

2013/2012، ص16.

فأرسطو Aristote يذهب إلى أنّ المكان هو «الحد اللامتحرك المباشر الحاوي أو السطح الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي.»¹ أي أنّ المكان هو الحيز الذي يحوي الأشياء.

1-5- المكان في الفلسفة الغربية الحديثة :

يذهب ديكارت Descartes إلى أنّ المكان « هو ماهية الأشياء ذاتها وجوهرها المادي، فامتداد المادة وتحيزها ليس عرضاً طارئاً عليها، بل هو صورتها وماهيتها، فالمكان، إذا جوهر وليس في الكون خلاء»².

أما كانط Kant يرى أنّ المكان « صورة أولية ترجع إلى قوة الحاسة الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس»³.

ويصور برغسون Bergson المكان، على أنه المجال الأول الذي تنتشر عليه أحوال النفس، وهو عنده « وسط متجانس وخال من أي تنوع في الكيف والأشياء الحالة في مكان تؤلف كثرة مرصوفة متمايضة وخالية من أي تداخل، بحيث نستطيع أن نضع بينهما فواصل وأن نعدّها، ونحدد مقدارها»⁴.

أمّا نيوتن Newton فهو يؤمن بوجود مكان مطلق لا علاقة له بالأشياء الحالة في مكان تؤلف كثرة مرصوفة متمايضة وخالية من أي تداخل، بحيث نستطيع أن نضع بينهما فواصل وأن نعدّها، ونحدد مقدارها⁵

¹ جوادي هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، ص16.

² نفسه، ص 18.

³ نفسه، ص 19.

⁴ نفسه ، ص19.

⁵ نفسه، ص 19.

ويذهب غاستون باشلار Gaston Bachelard إلى أنّ « المكان هو الصورة الفنية للمكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة، وأنّ المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا»¹ فالبيت هو عالم الإنسان الأول وفيه يدمج أفكاره وذكرياته.

1-6- المكان في الفلسفة العربية القديمة :

يختلف مفهوم المكان من فيلسوف إلى آخر فيعرفه الكندي (ن805-873م) بأنّه «السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي»².

أمّا الفارابي (ت872-970م) فهو يتبع ما قاله الكندي فهو يقر بوجود المكان ومن أجل ذلك فهو يؤكد على أنّ المكان « موجود وبيّن ولا يمكن إنكاره إذ العلاقة بين المكان والتمكن هي علاقة إضافة ونسبة»³.

أما ابن سينا فيعرفه تعريفا واضحا، مبينا ماهيته، فقال: «هو السطح المساوي لسطح المتمكن، وهو ما يكون الشيء مستقرا عليه، أو معتمدا عليه، أو مستندا إليه»⁴.

1-7- المكان نفسيا :

إنّ علماء النفس يؤمنون بأنّ « حقيقة المكان النفسية تقول أنّ الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة من وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية»⁵.

¹ غاستون باشلار ، جماليا المكان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1414هـ ، 1984م ، ص6.

² عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ج 1 ، ط1 ، 1984م ، ص462.

³ حسن مجيد العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، ط1 ، 1987م ، ص33.

⁴ نفسه ، ص33.

⁵ غيداء شلاش ، المكان والمصطلحات المقاربة له ، ص 246.

وقد ميّز هوفدينغ Hovding بين المكان النفسي والمكان المثالي، فيذهب إلى أنّ المكان النفسي الذي ندركه بحواسنا، مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين أنّ المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد و مطلق¹.

أما ويليام جيمس William james ، فيرى أنّ « كل الأحاسيس مكانية»، بمعنى أنّ لها امتدادات، وبذلك هناك مكان لميس، ومكان بصري ومكان عضلي، أمّا المكان الهندسي المتجانس والمتصل وغير المحدود، فهو مكان مجرد أو تصور عقلي محيط بجميع الأجسام².

2- الحضور المكثف للمكان في القصة الفلسطينية :

تكتسب الأرض قيمة كبيرة في نفس الإنسان بحكم كونها تشكل مقوما أساسيا من المقومات الحضارية والاقتصادية، وتقوي العلاقة بين الإنسان وأرضه حين تتعرض للاحتلال، لذا نجد الإنسان الفلسطيني ارتبط ارتباطا وثيقا بأرضه التي خاض من خلالها صراعا مريرا مع الاستيطان الصهيوني، «فجميع الناس يغادرون أوطانهم متى شاءوا ويعودون إليه متى يشاءون، فحنين هؤلاء إلى الوطن مؤقت وعابر وزائل ويمكن اختباره مرات كثيرة، ولكن حنين الفلسطيني إلى وطنه لا يمكن اختباره على الإطلاق لأنّ الفلسطيني كالبدوي يعيش في أمكنة كثيرة لكنه لا يعيش في مكانه الأصلي»³.

إذ يعتبر المكان عند الفلسطيني الوطن المفقود، فلكل إنسان حرية التنقل في وطنه الأم إلا الفلسطيني، فهو يتيم الوطن، والمكان عنده غير محدد" لذا وجد الشعب الفلسطيني نفسه بين عشية وضحاها مشرّدا في السهول والجبال بعيدا عن بيته قد أخرج من دياره،

¹ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج 2 ، 1982 ، ص413.

² أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس مج 1 ، ط2 ، 2001 ، ص363.

³ صقر أبو فخر، المكان والرمز في الرواية الفلسطينية ، جريدة الأيام ، ع6995 ، 2015/06/30 ، ص1.

واقطلع من حقله وأرضه لا يرى أمامه إلا صورة المذابح الدموية التي ارتكبتها اليهود ليسير في المنافي يعاني الذل والهزيمة والفقد والضياع يلفه ليل الشتات الطويل.¹

تعدّ الأرض من أبرز موضوعات الأدب الفلسطيني، فقد شكلت ومازالت تشكل حضورا مكثفا واعيا فيه، واكتسبت نتيجة لخصوصية الواقع الفلسطيني أبعادا كثيرة واتخذت معاني ومفاهيم عدّة.² وبما أنّ الصراع مع العدو الصهيوني يقوم على الأرض فقد تناولها الأدباء بوصفها رمزا مقدّسا للوجود والهوية الفلسطينية.

أرض فلسطين أرض مباركة على حسب نص القرآن الكريم: « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله»³.

فهذا المكان بالنسبة للفلسطيني هو الوطن المسلوب، فالفكر الصهيوني سلبه وطنه وهويته، لكن الفلسطيني تمسك بهويته لأنّ هذه الأخيرة تعبير عن إصرار هذا الشعب في استرجاع ما سلب منهم.

« فالمكان بالنسبة للإنسان ليس مجرد حيز يشغله بل هو ملازم لتاريخه وحضارته، وشاهد أمين على تطوره، فهو الإطار الذي يشهد تفاعله مع العالم ففيه يتحرك ويشكل أفكاره وقيمه»⁴.

إنّ لجوء القاص الفلسطيني إلى وصف المكان في قصصهم، ذلك ليس من أجل إثبات قدراته الفنية، وإنّما تعبيرا عن الواقع المرير ومذابح الاحتلال وجرائمه اليومية المرتكبة

¹ حسين محمد حسين الحلبي ، الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2008 ، ص1.

² فتحي فؤاد محمد زيدان ، التفاحة النهرية للقاص محمد نفاع في ضوء أعماله القصصية السابقة ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، 2016 ، ص60.

³ سورة الإسراء ، الآية 1 ، ص 283.

⁴ عالية أنور أحمد الصفدي ، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 2015 ، ص19.

ضد أبناء الشعب الفلسطيني والتي هدفها تجريدته من هويته وأرضه. والمكان هو الوسيلة التي تعكس هذا الواقع الرهيب الذي فرضته إسرائيل على فلسطين، « لذلك وجب الشعب الفلسطيني نفسه بعيدا عن أرضه خارج حدود الوطن موزعا في مناطق شتى، أو لاجئا فوق ترابه الوطني يقبع في مخيمات البؤس والشقاء في حنين دائم وشوق مستمر للعودة إلى أرضه دون أن يفرط أو يتنازل عن هذا»¹.

وبعد الدمار الذي ألحقته العصابات الصهيونية للقرى والمدن الفلسطينية « أخذ الروائيون الفلسطينيون يعكفون على رسم خريطة أرضهم بالأحداث والرجال وملامح الطبيعة الثابتة حتى الشجر والتلّ والنبع والتربة الحمراء والنباتات الجراحية ما بين أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب»².

مما يبدو أنّ الأرض والطبيعة هي الحلقة المكانية الحساسة التي التقطتها عدسة القاص، باعتبار الأرض الحيز الذي تدور فيه الأحداث حيث شاركت الطبيعة أنواع الدمار، ولم يكن وصفها غاية بقدر ما كان رسدا للفضاء النفسي لشخصيات القصة، لهذا تجد معظم القصص ترتبط بالقدس كما نجد أنّ الكُتاب تناولوا فنّ القصة والرواية داخل وخارج الوطن حتّى وإن كانوا في المنافي إلا أنهم وضعوا الوضع الفلسطيني السائد ولم يلتزموا الصمت.

فينطلق أي كاتب في العادة فيما يكتب من موقع جغرافي خاص به له سماته تميزه من غيره من الواقع، وعادة ما تنعكس علاقته الحميمة مع المكان فيما يبدعه من شعر أو نثر غير مكتف بنقل صورة المكان كما هو في الواقع بل يحاول أن يعيش فيه بأسلوبه الذي يراه³.

¹ جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة 1967، 1987، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004، 2005، ص34.

² حسين محمد حسين الصلبي، الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية، ص55.

³ فتحي فؤاد محمد زيدان، التفاحة النهرية للقاص محمد نفاع، ص196.

أي بعيد خلقه كما يراه هو، فهو لا يبتدع أسلوب حياته، بل يعيش بالأسلوب الذي يبدع به.¹

إذن ليس غريبا أن يرتبط ذكرنا لأسماء بعض الأدباء الفلسطينيين بتذكرنا للمكان، فإذا ما ذكرنا أحمد دحبور، نفطن إلى (حيفا)، وإذا ذكرنا عزّ الدين المناصرة فإننا نتذكر الخليل ونفطن إلى (الناصره)، عندما يذكر توفيق زياد، ويقتحم الجليل أسماء معينة، كسميح القاسم، وسالم جبران، ومحمد نفاع.²

ومن هنا سنشير إلى بعض القصص التي نلتمس فيها الحضور المكثف للمكان.

فالذي يقرأ قصص محمد نفاع يكتشف أنه ذو مرجع ترابي، "فالمكان عنده هوية تاريخية ووطنية ونفسية واجتماعية وثقافية، فلا يوثق قصصه غائبة عن مكانها، بل يستحضر أحداث قصّته وشخصه، في الأعم والأغلب من المكان المحيط به، حتى غدا بجماليته ودلالاته وإيحاءاته من أهم العناصر التي أسهمت إسهاما كبيرا في تشكيل عمله الإبداعي.³

لقد اتخذ من أرض الجليل ووعر الجرمق وجباله مكانا لمعظم أحداثه القصصية.⁴

وعليه فقد برزت (بيت جن) واحدة من أشد أمكنة الكاتب سحرا له،⁵ لكنه لم يغفل عن ما حول قريته من مواقع وقرى، فقد قدّم صورة واضحة عن ذلك، فهناك قصص عديدة لـ(محمد نافع) اتخذت أماكن مختلفة جغرافيا، فهناك أماكن فلسطينية وعربية وأخرى عالمية، ولكنها ترتبط كثيرا بتجربة الكاتب الشخصية والوطن، ومن هذه القصص نجد في

¹ غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ص30.

² فتحي فؤاد محمد زيدان ، التفاحة النهرية للقاص محمد نفاع ، ص196.

³ نفسه ، ص196.

⁴ نفسه ، ص196.

⁵ نفسه ، ص196.

مجموعته الأصيلة: (حميد أحمد وآخرون) و(الحمال يفقد القوة) و(تجريان في الضفة الغربية إبان حرب 1967)، الأولى في جنين والثانية في (نابلس)، (مدرسة بحر البقر)، في محافظة الشرقية في مصر(1970)، ويجري الحدث في قصة (واحد من كثيرين) في أحد سجون الاحتلال الصهيوني، كما نجد بعض القصص تجري أحداثها في أماكن بعيدة ك (المندوب السامي) في أثينا اليونان.¹

وسنجد في قصة فلسطيني لسميرة عزام (ت 1967) الفلسطيني في القصة هو اللاجئ، وإذا كان لا بد من تحديد الزمان والمكان هو ما بعد النكبة، نكبة (1948) والمكان هو لبنان.²

فالفلسطيني فقد وطنه وأصبح مرتجلا من مكان إلى آخر، ولم يعرف أي استقرار، وهكذا « تكتب سميرة عزام عن لاجئ فلسطيني في لبنان ولا تكتب عن اللاجئين كلهم وإن لم يختلف واقعهم في أماكن اللجوء كلها في الأردن وسوريا وقطاع غزة، والضفة الغربية، إلا اختلافا طفيفا، ففي حين منحت بعض الدول الجنسية للاجئ، أو الوثيقة لم تمنحه إياها دول أخرى».³ وحتى حين يحصل اللاجئ الفلسطيني على الهوية اللبنانية والقيام ببحثه عن جذور له في إحدى القرى اللبنانية، إلا أنه يظل فلسطينيا بما تعنيه الكلمة من اضطهاد واحتقار وشتيمة.

وعليه لا يستطيع الفلسطيني أن يمارس المهن التي يمارسها اللبناني... وهكذا لا يمارس الفلسطيني حياته الطبيعية لأنه مهاجر ولاجئ وغريب عن سكان المكان الذي لجأ إليه.⁴

¹ فتحي فؤاد محمد زيدان ، التفاحة النهرية للقاص محمد نفاع ، ص196.

² عادل الأسطة ، قراءات في القصة القصيرة الفلسطينية، جامعة النجاح ، نابلس فلسطين ، 2007 ، ص17.

³ نفسه ، ص17.

⁴ نفسه ، ص19.

ففي هذه القصة ركزت سميرة عزام على الواقع الفلسطيني في المنفى (لبنان) وكانت هذه القصة تدور في دكان في لبنان.

كما نجد في قصة مقهى الباشورة (1969) لخليل السواحري، باعتبارها تعطي صورة عن المدينة في إثر نكسة حزيران (1967).

تتكون هذه المجموعة من تسع قصص قصيرة تجري أحداثها في مدينة القدس منطلقاً لأحداث القصص، فالمقهي هو المكوّن المكاني الأساسي للقصص.¹

وقصة أبو جابر الخليلي لتوفيق فياض، إذ أنجزها في السبعينيات من القرن العشرين، وظهرت في مجموعة البهلول (1977)، وهي بذلك تعطي تصوراً عن مدينة القدس في بداية السبعينيات من القرن العشرين.²

وفي هذه القصص نجد السارد « يأتي على وصف مفصل لشارع صلاح الدين وما فيه من مجالات وبضائع ... ثم والسارد يصف حركة أبي جابر في القدس يأتي على شارع الزهرة شارع النوادي الليلية والمقاهي الفاخرة».³

3- أشكال المكان في السرد :

لعب المكان في معظم القصص دوراً وظيفياً هاماً، أين حرص القاص أثناء تشكيله للمكان اتخاذ معاني ودلالات ورموز متنوعة ارتبطت بالحالة الاجتماعية وغيرها في أي مجتمع ما، حيث اعتمد الكتاب في كتاباتهم وخاصة في وصفهم للمكان على نمطين هما: المكان المفتوح والمكان المغلق، ولكل نمط مميزات وخصائص تعكس حياة مجتمع ما.

¹ عادل الأسطة ، القدس في كتابات كَتّاب القصة القصيرة الفلسطينية ، بحث مقدّم للندوة 13 لإتحاد جمعيات مكّتابات بلاد الشام ، نابلس ، فلسطين ، 2009، ص3.

² نفسه ، ص3.

³ نفسه ، ص8.

1-3-1- المكان فضاء مفتوح :

تتخذ القصص في عمومها أماكن مفتوحة على الطبيعة تؤطر بها الأحداث مكانياً، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يعرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وأنواعها.

وتكتسب الأماكن المفتوحة أهمية بالغة، إذ أنها تساعد على: « الإمساك بما هو جوهري فيه، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها»¹.

ومن «خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء»².

إذن الأماكن المفتوحة هي مسرح تحرك وانتقال الشخصيات.

1-1-3- المدينة :

«المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته، شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية أو البادية في أول الأمر»³. فالإنسان يرتبط بمكانه الأصلي ارتباطاً وثيقاً شعورياً ولا شعورياً، فيبنى على أرضه ويزرع فيها، يودع في رحم الأرض ذكرياته ويرسم على جدران بيته آهاته حيث تلحق به شوارع المدن والقرى إذ رحل فهو ابن مكان هذه الأرض.

¹ حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990، ص79.

² فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاث روايات الجذوة، الحصار، أغنية الماء والنار، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003، ص80.

³ قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص22.

« فكان لكل مدينة شخصيتها وروحها المميزة لها عن غيرها من المدن الأخرى تبعا لتمييز عادات وتقاليد وحاجيات ساكنيها ونشاطاتهم وحتى موقعها الطبيعي انغلاقا أو انفتاحا ذلك لأنّ ثمة مدنا منفتحة على نهر أو على الأفق... وثمة مدن قابعة في زوايا الأودية منغلقة كالمقروور في ظل بوابتها أو منكمشة في حركة دعر أو منتشرة في ظل السهل البعيد»¹.

وهذا يمكنه أن يحدث تأثيرا في نفسية الإنسان، والإنسان هو الذي يصنع المكان الذي يتواجد فيه بطابعه الخاص، مما يخلق نوع من التأثير بين الإنسان والمكان الذي يعيشه، وهذا ما يعكس الواقع الذي يعيشه الإنسان مع مكانه.

فلكل قاص وجهة نظره في حديثه عن المدينة، فقد نجد منهم من ينظر إليها من المنظور الإيجابي، وذلك لما تحمله من حبّ وذكريات جميلة، كما يمكن أن نجد نظرة اشتياق وحنين، شاعرا بغربته فيها وانفصاله عنها، وقد نجد نظرة سلبية لما تحمله المدينة من دلالات الحزن والأسى ولما يحدث فيها من الفساد والقهر الاجتماعي.

وهذا ما نلمسه في ثلاثية البحر للكاتب حنا مينه، فالمدينة في نظره: « إن امتلأت بشرا فهي تعاني قحطا وجوعا، المدينة زائفة تعبر عن فقدان التماسك وتصدّع العلاقات الاجتماعية وتزرع القيم وهي تقهر الإنسان، تحاصره، تسحقه، المدينة مرتع للقيم الضائعة وسط مشحون بالفسق واللهو والعبث والتهتك الأخلاقي، المدينة مرتع للاغتراب والمعاناة المؤلمة لمجتمع تفككت فيه كل القيم والمعايير الاجتماعية، المدينة مكان غارق مع سكانها وحلّ قاذوراتها»².

¹ قادة عقاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر ، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، 22 .
² مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2001، ص97.

إنّ كلّ هذا الكره والتمرد الكبير اتجاه المدينة نجده قد يعود إلى الخلفية السياسية التي تعبر عن الفساد والقهر الاجتماعي والاحتلال الاستعماري، والفروق الطبقيّة (الطبقة الغنيّة، والطبقة الفقيرة).

نجد شخصية البطل سعيد حزوم في هذه الثلاثية يوجّه كرهه للمدينة، ولكن ليست المدينة بحدّ ذاتها، « إنّما يغلّف كرهه للأغوات فيها وللطبقة الغنيّة والمستغلة والتي تعاونت مع المحتل وانسلخت عن وطنها يغلّف كرهه لطبقة كانت لا تملك شيئاً، وفجأة أصبحت ثرية»¹ وهذا المقطع يوضح ذلك: « تذكر أنّ فلانا وفلانا، من أهل المدينة لم يكونوا يملكون شيئاً ثمّ فجأة اغتنوا، صارت لهم أراض وقصور وسيارات... صاروا بين عشية وضحاها من أصحاب الملايين»².

ويقول أيضاً: « يا ميناء اللاذقية، اللعنة عليك، وعلى كلّ موائئ العالم»³

«ولعلّ أول ما يلفت أي وافد جديد للمدينة،الوجه الخارجي والمادي لها والذي تلتقطه العين قبل أن تكتوي به النفس، إنّ بيوتها الإسمنتية الجامدة جمود سكانها، والتنظيم الآلي للحياة فيها،وتخصص أمكنتها وضيق أزقتها وكثرة المتسكعين والبطالين فيها وغلبة الازدحام والضوضاء على محيطها، فالمدينة موحشة خالية الروح مخيفة»⁴.

كما نجد أنّه انصرف لوصف المدينة لكن لأحيائها القديمة والناس الشرفاء، فيقول في هذا الصدد: « كانت تفتنني من المدينة أسماء شوارعها المستمدة من الزهر والثمر، شارع البيلسان، زقاق العنابة، حي الخرنوبة، حارة الجميزة، وكنت أوغل في الأحياء القديمة:

¹ مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه ، ص98.

² نفسه ، ص98.

³ نفسه ، ص98.

⁴ نفسه ، ص98.

الصليبية والشحاذين والقلعة والعوينة، وأمر تحت قناطر وعقود ولم أكن قد شاهدتها في إسكندرونة مما يدلّ على قدم اللاذقية ووفرة الآثار فيها»¹.

يقول في موضع آخر « اتجهت نحو حيّ القلعة، صادفت بعض الضباط الفرنسيين في طريقي، كان المارة يتحاشونهم، نظرات ملأى بالكراهية تحيطهم من كل جانب»².
في هذين المقطعين نجد علاقة حب وكره، فنرى أنّ شخصية البطل سعيد حزم بصدد وصفه لأحياء وشوارع المدينة، يدلّ على حبّه وتعلقه بهذه المدينة، أما علاقة الكره في اتجاه الاحتلال الفرنسي والطبقة الغنية التي سارت في اتجاه هذه الاحتلال.

3-1-2- الشوارع والطرق:

« يعدّ الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة وأحد العلامات المكانية البارزة فيها تنفتح عليه الأبواب وتتحرك من خلاله الشخصيات وهو أكثر من جغرافية مكانية»³.
« فهو الخيط الفاصل بين عالمين عالم السر وعالم الجهر... إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري، ويبدأ عالمهم العلني، حيث يبدأ الشارع وحين تنكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها...إنّ الشارع النابض بالحياة»⁴.

ويشير شاعر النابلسي إلى المكانة البارزة التي يحتلها الشارع في الرواية العربية "فالشوارع العربي كما هو معروف: ماديا وواقعيًا. شارع قبيح المنظر سواء كان هذا

¹ مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه ، ص102.

² نفسه، ص103.

³ جوادى هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص11

⁴ أحمد زوبير ، جماليات المكان في قصص إلياس الخوري ، دراسة نقدية ؛ التنوفي للطباعة والنشر ، الرباط، المغرب ، ط 1، 2009 ، ص46.

الشارع في المدينة أو القرية ومردّ هذا القبح من هذه الفوضى التي تحكمه فوضى الناس وفوضى الحكام»¹.

لكن يبقى الشارع المكان المفتوح الذي يلجأ إليه القاص لتحريك الشخصيات القصصية، وذلك هروبا من الضيق الداخلي المختنق إلى الخارج الذي يتمثل في الفضاء المنفتح والناضب بالحياة، «ويتحول الشارع في بعض الأحيان إلى مكان مليء بضجيج المتظاهرين بوصفه فضاء مفتوحا يوحى بالاتساع والانفتاح للعابرين يشكل الشارع أحد الفضاءات التي تشهد حركة الشخصيات القصصية إذ يصوره القاص من خلال بيان أثره النفسي في الشخصية والحالة الشعورية التي تدفعها إلى الشارع»².

فالشارع باعتباره مكان مفتوح يتسنى للمرء المشي فيه بحرية، فهو يعدّ مكانا للتنفيس عن ما يخالج النفس ومن جهة أخرى يسهل على القاص معالجة موضوعات مرتبطة بالشارع.

ويمنح السير في الشارع نفسية المرء بعض الراحة التي لا يجدها في بيته المزدهم أو الفارغ من الحب يقول القاص عن مصطفى في قصة "حفرة في الجبين": «لما واجهني هواء الشارع... تنفست بملئ رئتي»³.

فهذه الشخصية مصطفى قد شعر بالانتماء للشارع بعد صراعه الفكري مع أهله يأخذ قسطا من الراحة النفسية.

¹ شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار الفرس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1994، ص67.
² محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2001، ص51.
³ نفسه، ص52.

فالمكان كما يقول يوري لوتمان « يرتبط ارتباطاً لصيقاً بمفهوم الحرية ومما لا شكّ فيه أنّ من أكثر صور الحرية البدائية هي حرية الحركة»¹.

ويعدّ ياسين النصير الشارع « صحراء المدينة وجزءها الزمني لامتداده طاقة على مدّ الخيال، لانعطافاته تحولات في الزمان والمكان، لسعته رؤية ريفية ولضيقة رؤية المدن الصغيرة الوسطية، ولساكنيه حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الاطلاع والتبدل»².

فالشارع يبقى الفضاء المفتوح الذي «تكتنفه العلانية، يحمل ذكريات الإنسان المفرحة أو المترحة ويصبح ذا أبعاد رمزية ودلالية كما نلاحظ في قصة الساقان السوداوان، فالشخصية الرئيسية في القصة تتسكع في الشوارع تتجول بلا هدف، رغبة في التجول والمشى فقط»³.

ويشير القاص "سعيد حورانية" إلى ذلك ويقول «وهبط إلى الشارع، وردّ علي تحية الحارس وأغمضت عيناه سيارة قادمة فتساءل عن مصير سيارته في شعبة التصليح... تلفت حواليه، كل شيء يبدو بليدا حوله، حتى هو يحس بالخمول وتمنى أن يشهد أي شيء يسليه، مظاهرة في الشارع مثلاً...»⁴.

نلاحظ من هذا المقطع خروج الشخصية إلى الشارع باعتباره المكان المفتوح للتجول والمشى للترفيه والتنفيس عن ما يخالج نفسيهما.

ما يميز الشارع الحرية والراحة التي وجدتها الشخصية فيه ولم تجدها في الأماكن الأخرى.

¹ محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص52.

² ياسين النصير، الرواية والمكان ، الموسوعة الصغيرة 195، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 ، ص114.

³ محبوبة محمدي محمد آبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص51.

⁴ نفسه ، ص51.

وقد اقتصر سعيد حورانية على إشارات قليلة إلا أنّها كانت هامة بحضورها في قصصه، ففي قصة « حفرة في الجبين يطلّ علينا الشارع بحضوره المهم، يتحول إلى مكان لمسيرة احتجاجية للعمال الذين كانوا ينادون بنقابة للعمال تحمي مصالحهم وحقوقهم وتدافع عنهم»¹.

3-1-3- البحر:

البحر هو أكثر القوى الكونية مهابة وجمالا، وهو مكان لا متناهي واتساع هائل ومصدر رزق وحياة للإنسان، ولقد شغل البحر اهتمام الأدباء والشعراء بما يحمله من سحر وجمال وعظمة، ولقد شكل لدى بعض الروائيين والقصاصين هاجسا من هواجس الكتابة، بما يحمله من معاني ودلالات.

و« البحر كمكان مفتوح يظهر أفكار وأبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وإنسانية في ضوء الثنائيات المتقابلة والتماثلية، ويقوم البحر كمكان مفتوح بدور حيوي على مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية»².

فالبحر مكان يشعرنا بالراحة، ويمنح في النفوس الشعور بالهدوء ومجالا للتأمل.

كما « أنّ البحر مكان غامض وممتع في آن واحد، ومصدر للرزق وسدّ عوز الفرد تعامل معه الإنسان فأخذ من خيراته اللؤلؤ والمرجان وخاض في غيابه ليعاني لوعة الفراق وكشف المجهول وأخذ من الأسماك واستخدامه وسيلة للتجارة عبر الزمن، والحديث عن

¹ محبوبة محمد محمد أبيادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص53.

² مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، ص115.

البحر يعني في جملة ما يعنيه الحديث عن الحنين والانتظار، عن الكوارث والخوف عن الفراق»¹.

3-2- المكان فضاء مغلق :

إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة، هو الحديث عن المكان الذي حددت مساحته، فهي أماكن إقامة الشخصيات، وتحركها ولها أهمية في القصص والروايات يضعها الكاتب للإشارة إلى أبعاد ودلالات.

« والمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته، أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني، وبين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلاّ إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه»².

فالمكان المغلق مكان يلجأ إليه الإنسان ليقبع في ضلاله المنغلقة وهذه الأمكنة متعددة نجد منها: البيت، المقهى، الملهى، وهذه الأماكن تعتبر لديه أماكن اختيارية ففيها يبحث عن الألفة والأمان، كما يمكن أن تكون هذه الأماكن مصدر خوف، واختباء لما يحدث خارجها، كما نجد أماكن أخرى مفروضة عليه كالسجن والنظارة، فهي المأوى اللاإرادي للإنسان، فهي مصدر للخوف والإكراه، وقد جعل الكتاب هذه الأماكن إطاراً لأحداث قصصهم وتحرك شخصياتهم.

¹ فهد حسين ، المكان في الرواية البحرينية ، ص145.

² نفسه ، ص163.

3-2-1- البيت :

بيّن باشلار أنّ « البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيرا ما تتداخل أو تتعارض وفي أحيان تنشط بعضها بعضا في حياة الإنسان كأننا مفتتا، إنه البيت، يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض»¹.

«فالببيت في الخطاب الروائي، لم يعد ركنا من الجدران تزيّنه مجموعة من الأثاث يصفها بدقّة دون أن يتجاوزها إلى الحضر الإنساني والوصول إلى اللمسات الموحية بالروح التي تسكنه، لقد أصبح البيت ذو دلالة تنطلق من زواياه لتدلّ على الإنسانية دلالة بالتأثر الجدلي بين المكان والشخصية، إنّه علاقة بإمكانها الكشف عن حياة كاملة لأناس عاشوا تحت سقف هذا البيت أو ذاك، تحفظ أحلامهم وذكرياتهم»².

« البيت هو المكان الأليف حسب تعبير باشلار، حيث تتكون ملامح الألفة وأحلام اليقظة، فالحياة تبدأ بداية جيّدة، تبدأ مسيجة محميّة دافئة في صدر البيت»³.

« ليس البيت إذا مجرد إطار للأحداث والشخصيات وإنّما هو عنصر فاعل في هذه الأحداث وفي هذه الشخصيات»⁴.

فالببيت « هو كوننا في العالم إنّه كما قيل مرارا كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى»⁵.

¹ غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، ص38.

² شريف حبيّلة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكلاّني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص205.

³ غاستون باشلار، جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، ص 45.

⁴ حسن بحر اوي ، بنية الشكل الروائي ، ص41.

⁵ غاستون باشلار، جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، ص 36.

« ويوحى لنا ألفة الأم ورحمها بهذا الكون يمتلك تلك الجاذبية التي تربط الإنسان به كما في قصة سريري الذي لا يئن... هذا المكان المتمثل في غرفة حامد مركز ثقل القصة، منها تنطلق أحداثها وفيها تنتهي وهي المكان الأليف»¹ الذي يتشبث بساكنه يصبح الرحم للجسد بجدرانه التي تتقارب.²

«وتبقى صورة هذا البيت تطارد ذاكرة حامد حتى وهو في الغربة عندما غادر بيت أهله إلى غرفة غريبة بين أناس غرباء»³.

من هذا يتبين لنا أنّ إحساسه بالمكان قوي، فرغم بعده إلا أنه يحنّ إلى بيته وغرفته، وأنّه أصبح يعيش المكان مع أناس غرباء في هجرته وترحاله حيث تعدّ الغرفة المكان المكثف في هذه القصة، فحضور الغرفة يتأكد حضور البيت الذي يعدّ المكان الذي يلجأ إليه كل إنسان للحماية من العدوان الخارجي.

3-2-2- المقهى :

«وهو من الأماكن المغلقة التي يقصدها العديد من الناس، فيمثل المقهى بؤرة اجتماعية لها دلالتها الخاصة في الرواية العربية التي وجدت في هذا المكان علامة دالة على الانفتاح الاجتماعي والثقافي وأنموذجا مصغراً لعالمنا»⁴.

كما يعتبر المقهى « بيت الألفة العام الذي يستوعب الجميع، ويحتوي الجميع دون شروط مسبقة ودون مواعيد مسبقة»⁵ فالمقهى هو مكان عام يجلس الناس فيه، فهو يعتبر

¹ محبوبية محمد محمدي آبادي ، جماليات المكان في قصص صعيد حورانية ، ص58.

² نفسه ، ص58.

³ نفسه، ص58.

⁴ شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ص195.

⁵ نفسه ، ص199.

بمثابة مجلس الشباب فيجتمعون ويتبادلون الأحاديث باعتباره متنفسا ينسون من خلاله أعباء الحياة ومشاكلها.

و«هو مكان انتقال خصوصي بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة، فهناك دائما سبب ظاهر أو خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما»¹.

وبالتالي فالمقهى ميزة خاصة في المجتمعات العربية سواء قديما أو حديثا، حيث أنّ فضاء المقهى «يعتبر من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي، فنلاحظ أنّ المقاهي انتشرت في أماكن مختلفة من العالم العربي»².

إنّ فضاء المقهى من الأماكن الأساسية في العمل الروائي، سواء كان في القصة أو الرواية وهذا ما يتجلى في قول الناقد حميد حميداني: «إنّ بعض الأمكنة لها خصوصيات تجعلها دائما مادة أساسية في الرواية منها: المقهى ولو تتبعنا تاريخ الرواية سواء في الغرب أو في العالم العربي لوجدنا لهذا المكان حضورا كبيرا»³.

فالمكان مهم وأساسي باعتباره مكان التقاء الأصدقاء كونه يبعث الراحة. «فالمقهى وارتفاعها وسط الفضاء الداخلي تصنع راحة نفسية لا تشبه تلك التي يعيشها المرء في بيته المزدهم»⁴.

¹ حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص91.

² شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ص195.

³ حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط3 ، 2000 ، ص72.

⁴ ياسين النصير ، الرواية والمكان ، ص42.

« تشكل المقاهي في قصص سعيد حورانية إحدى الفضاءات الانتقالية التي كانت الشخصيات دائمة التردد عليها، ويتحوّل إلى مكان للتعارف، تتعرف فيه الشخصية القصصية على الآخرين»¹.

ففي «قصة سنتان وتحترق الغابة يرسم القاص صورة عن طبيعة الجوّ في ذلك المقهى، وما كانت تثيره من أحاسيس ومشاعر وذكرى الوطن لدى شخصية أبي إبراهيم الذي يحول استحضاره وسط تلك الأجواء»².

اتخذ فضاء المقهى في قصص سعيد حورانية مكانة هامة حيث نرى في قصّة صولد « أنّ الأحداث تدور في المقهى، وكان للمقهى أهمية في حياة الشخصية الرئيسية في هذه القصة، حيث كانت ترتاد المقهى بكثرة»³. يقول في وصف المقهى: « كان بجانبنا رجل يحلف بالطلاق أنّه لم يسرق الحوكر، وآخرون يعرّبون ويرافقون الراديو وصوته المتميع، وهناك في الزاوية جلس الشباب يتحدثون في السياسة...هه.. يا له من عالم قديم تفصلني عنه عصور جيولوجية سحيقة»⁴.

وفي موضع آخر « وعند باب القهوة أصابتنى الحمى مرّة واحدة، أخذت أرتجف، وخفق قلبي فشعرت به كعجوز مشرف»⁵.

¹ محبوبة محمد أبادي ، تجليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص64.

² نفسه ،ص64.

³ نفسه ،ص65.

⁴ نفسه ،ص65.

⁵ نفسه ،ص65.

وكما نلاحظ في قصة مشروع إنسان كثرة حضور الشخصية الرئيسية في الأماكن المغلقة كالمقهى والبيت معبرة عن اغترابها الذاتي وعزلتها وعجزها... « دخلت مشربا في مقهى بولوني صغير... كان الناس هناك من مختلف الأجناس...»¹

لقد جعل القاص فضاء المقهى يعبر عن الطبيعة النفسية والفكرية لشخصياته القصصية، ويمكن لنا القول أنّ المقهى مكان نصف مغلق، لأنه يحمل في تكوينه شيء من خاصية البيت، ومفتوح لأنه يحمل شيئا من الشارع ويستقبل جميع الناس دون استثناء

3-2-3- السجن :

« إذا كانت الحرية هي جوهر وجوده والقيمة الأساسية لحياته، فإنّ السجن هو استلاب لهذه الحرية، وبالتالي فهو استلاب للوجود وإهدار للحياة».²

« وبذلك فالسجن هو بمثابة الحقيقة الثابتة في المجتمعات الخاوية من الحرية»³ فنظرا للآثار السلبية التي يتركها السجن في النفس فقد احتل مكانة بارزة في القصص والروايات واكتسب عناية جمالية كبيرة.

كما يمثل السجن «رمز الانفصال البدني عن العالم الخارجي، ومكان الإنسان الذي يتحول إلى مجرد كائن يحمل رقما ما، ويصبح العالم كلّ مجرد زنزانة وتصبح قنوات اتصاله مع هذا العالم محددة كل التواصل هي لحظات الزيارة حيث يتعلق السجناء بأشعة من الضوء تأتيهم من الخارج، فالسجن كمكان هو رمز للضييق والعزلة».⁴

¹ محبوبة محمد أبادي ، تجليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص 66.

² جوادي هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، ص 191.

³ نفسه ، ص 191.

⁴ نفسه ، ص 191.

يتسم السجن « بمواصفات الضيق والرطوبة والروائح الكريهة والظلام والصمت والرتابة، فهو ليس سجنا للجسد فقط، وإنما أيضا سجنا للنفس البشرية وحرمانا لها من أبسط حقوقها المشروعة»¹.

« ومن هنا، فقد أصبح السجن ليس مجرد مكان ذو أبعاد هندسية مميزة عن باقي الأمكنة الأخرى في الواقع، من حيث قسوة هذه الأبعاد»². فالسجن هو مكان مخيف وإجباري فهذا النوع من الأمكنة « هي أمكنة إقامة وثبات للقيود والحبس والإكراه، فالأمكنة الإجبارية معنية بالإقامة التي تبعد المرء عن العالم الخارجي وتعزله عنه، بل وتقيد من حرّيته»³.

ويمكن القول « إنّ الأمكنة الإجبارية تحمل صفة الإكراه والخوف والقلق والاضطراب النفسي، وتسعى لإبراز الضغط والتعذيب النفسي في فضائها تقع فيها الشخصية دون إرادتها واختيارها، ومحتويات هذه الأمكنة تكون مصدرا لخوف وقلق ورعب للذات والمشاعر المتوترة والأحاسيس الغريبة والمخيفة في نفس الشخصية»⁴.

4- تجليات المكان وعلاقته بالشخصية :

الشخصية هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أمّا من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءا من الوصف، فهي عنصر مصنوع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها⁵.

¹ جوادي هنية ، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج ، ص197.

² شاكر النابلسي ، جماليات المكان في الرواية العربية ، ص316.

³ محبوبة محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص73.

⁴ نفسه ، ص73.

⁵ لطيف ريتوفي ، معجم المصطلحات (نقد الرواية) ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 2002 ، ص113 ، 114.

من هنا نفهم أنّ الشخصية عنصر مهم وأساسي في الحكاية، بغضّ النظر عن نوعه وعلى هذه الشخصية أن تسير وفق تسلسل الأحداث وتطورها، فهي عبارة عن كائنات تكون من نسيج خيال الكاتب، وذلك من خلال المشاهد التي يرسمها في الحكاية.

ونجد الشخصية عند عبد المالك مرتاض أنّها: « أداة من أدوات الأداء القصصي، يصنعها القاص لبناء عمله الفني، كما يضع اللّغة والزمان وباقي العناصر التقنية الأخرى التي تتضافر مجتمعة لتشكيل فنية واحدة وهي الإبداع الفنّي».¹

أمّا ميساء سليمان الإبراهيم، ترى: « من الضروري أن تنتظم الشخصيات والأشياء في سياق زمني ومكاني، فالشخصية جزء من هذا السياق الممثل في النصّ»²

وتظل الشخصية مكونا هاما في القصة، إذ تعتمد في وجودها على عبقرية المبدع وخياله، حتى يستطيع نقل تلك الشخصية من عالمها الخاص، لتندمج في عالم تصبح فيه نماذج عامة.

تتجلى أهمية الشخصية من خلال ربطها بالمكان، وتفاعلها فيه يمنح الشخصيات هويّتها، لهذا نجد ارتباط وثيق بين الشخصية والمكان، وأنّ هذا الأخير هو الذي يحدد اتجاهات وسلوك هذه الشخصيات.

ويعد المكان الذي يعيشه الشخص ويتحرّك فيه مرآة عاكسة لطباعه، وهو يعكس حقيقة الشخصية، وإنّ حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها³.

¹ عبد المالك مرتاض ، القصة الجزائرية المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للعنوان الجزائري ، ص71.

² ميساء سليمان الإبراهيم ، البنية السردية في كتاب الامتناع والمؤانسة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، ط 1 ، 2012، ص205.

³ سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 ، ص114.115.

والمكان هو ذاك « المكان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ويحمل جزءاً من أخلاقيات ساكنيه وطريقة حياتهم»¹.

« قل لي أين تحيا أقل لك من أنت»²، إنّ المكان يقوم بدور مهم في ممارسة الشخصية لطقوسها من عادات وتقاليد، فعلاقة الشخصية بالمكان قائمة على الاستمرارية، كما تقوم على التأثير والتأثر، فلا وجود للشخصيات خارج المكان، فالشخصية عنوان للمكان والمكان هو الذي يعرف الشخصية.

ولا تقل أهمية وجهة النظر بالنسبة للمكان عن المكونات السردية الأخرى، فلا يمكن للمكان أن يظهر إلا من خلال وجهة نظر الإنسان الذي يعيش فيه، وهو الذي يحدد أبعاد المكان ويرسم طوبوغرافيته، ويجعله يحقق دلالاته الخاصة وتماسكه الإيديولوجي³.

هذا ما لمسناه في المجموعات القصصية لسعيد حورانية أين اعتمد القاص في عملية السرد على وجهة نظر الروائي القائم بالسرد الذي هو المؤلف نفسه الذي يعايش النص ويروي ما حدث له في حياته الواقعية، فالمكان لا يرتبط في النص بالأحداث والشخصيات والزمن فقط، إنّما يرتبط أيضاً « بطائفة من القضايا الأسلوبية والسيكولوجية»⁴.

أي أنّ المكان الذي يعتمد على الحالة الفكرية أو النفسية للشخصيات المحيطة به المكان له « دلالة تفوق دوره المؤلف كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث، إنّهُ يتحول في هذه الحالة إلى محور حقيقي، ويقترح عالم السرد محرراً نفسه من أغلال الوصف»⁵.

¹ ياسين النصير، الرواية والمكان ، ص16.

² محبوبة محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص89.

³ نفسه ، ص90.

⁴ حسن بحر اوي ، بنية الشكل الروائي ، ص33.

⁵ حميد لحميداني ، بنية الن السرد ، ص71.

ومثلا في قصة سريري الذي لا يئن لسعيد حورانية، يكتفي القاص من خلال السرد بضمير المتكلم بالتركيز على بعض الرموز المكانية، كالجدران التي تقف صامدة في وجه الشتاء بدون تفصيل، وتترك المجال للأجواء السائدة فيه ويجعلها تعكس حقيقة الشخصية في هذه الغرفة التي كانت تحبها، وفضاء الغرفة في هذه القصة يحيل إلى الحياة الداخلية التي تعيشها شخصية حامد، والتي تتجول في أرجائها.¹

ينقل إلينا سعيد حورانية، الإحساس بأن لكل مكان شخصيته الخاصة، كما يقول حسن بحراوي بأن المسكن « لا يأخذ معناه ودلالته الشاملة إلا بإدراج صورة عن الساكن الذي يقطنه، وإبراز مقدار الانسجام أو التنافر الموجود بينهما والمنعكس على هيئة المكان نفسه وجميع مكوناته، بل إن النسق الوصفي لا يغفل في بعض الأحيان، سوى أن يربط بين وصف الشخصيات المهملة الدلالة، والأماكن التي توجد فيها بحيث يعطي لتواجد الشخصيات الدلالة الكامنة في تلك الأماكن، وهكذا سننتهي إلى اكتشاف نوع من التطابق والاندماج قلّ نظيرهما بين طبيعة البيت وشكله ونوعية الشخصيات التي تقيم فيه».²

لذا يسند القاص لكل شخصياته شكلا ويمنحها وظيفة ودورا مميزا يساهم في الحدث، ثم يجسد المكان في معظم قصصه كنقطة انطلاق الشخصيات التي يعتمد وجودها من خلاله، فهو يرى أن المكان هو هوية لكل شخصية، إذ لا يوجد شخصية ليس لها مكان يميزها عن غيرها. ولذلك تبدو « الشخصية دون مكان كشخصية في الفراغ سواء أكانت شخصية رئيسية أو هامشية».³

و« تتجلى علاقة الشخصيات الرئيسية بالمكان من خلال وجودها في تبئير الأحداث وعلى حين تبدو أن الشخصيات الهامشية التي لا تملك في القصة غير الجملة التي كلفت

¹ محبوبية محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص 94.

² حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص54.

³ محبوبية محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص94.

بتقديمها وترتبط بالمكان أقل من ارتباط الشخصيات الرئيسية به، بل لنا أن نقول إن هذه الشخصيات لا تمتلك هويتها إلا عبر المكان باعتباره أهم العناصر المكونة لهوية الشخصية»¹.

وهذا ما يمكن أن نتأمل به في تقديم شخصية حامد في قصة سريري الذي لا يئن «الذي ترك بيت أهله ليعيش وحده، يمتلك وجوده في بيته الأسري والحدث القصصي عبر كونه فردا من أفراد الأسرة»².

وأيا في قصة وفي الناس المسرة، يقدم القاص خلفية لبيت سميرة إذ تساهم صورة البيت في الكشف عن طباع هذه الشخصية البسيطة ومستوى تفكيرها وطبيعة سلوكها مثلما يقول السارد: « هذا المحراب الذي ملأته الليلة بالدموع، والشموع تجلسين أمام المدفأة كهرة أليفة، وأنت تحدّقين في الأبعاد ما وراء الحيطان يتراقص عليها اللهب، كخيمة أرجوز عتيق»³.

جاء هذا الوصف لملاحم المكان على لسان السارد ليكشف للقارئ عن جانب إنساني غامض من جوانب شخصية سميرة، ويمنحه انطبعا عن أثر ذلك التطور اللافت في سلوكها وطباعها.

يمكننا أن نلخص العلاقة بين الشخصية والمكان في اتجاهين:

¹ محبوبية محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص95.

² نفسه ، ص95.

³ نفسه ، ص95.

4-1- العلاقة الحميمة بين الشخصيات و المكان :

« عندما ترغب شخصية في الاحتفاظ بالمكان الذي تقيم فيه وتعمق شعورها بالالتحام والاندغام مع هذا المكان، هنا تبرز علاقة حميمة تربط الشخصية بالمكان من خلال خلجاتها المعبرة عن مدى رغبتها في البقاء في المكان الذي تعشقه مثلا في قصة الجوزات الثلاثة يبرز التشبث بالمكان على أنه تشبث بالوجود في شخصية (أبو صلاح)، كان يريد أن يحتفظ بهذه الجوزات الثلاثة كتذكار لماضيه البعيد، لأنه كان يعمل طول حياته في خدمة الأرض والأشجار»¹.

مثلا يقول شايف: «هالجوزات الثلاثة يا سليمان أفندي؟من ثلاثين سنة أنا زرعتهم وسقيتهم ونزعت الحشيش عنهم: ربيتهم كأولادي...»²

يبين لنا هذا المقطع رغبة الشخصية أبو صلاح في الاحتفاظ بالمكان الذي تحبه، لأنه اعتنى بها كما كان يعتني بأولاده، ورغبته في هذا المكان الحميم دليل على العلاقة الحميمة بين الكائن والمكان، كما نجد أنّ هذه العلاقة قد تؤدي إلى حالة من الانتماء والاندماج بين الشخصية والمكان وهذه حالة ما كنت الشخصية في حالة المغادرة أو الابتعاد وهو ما أشار إليه سعيد يقطين بقوله: « نجد العديد من الشخصيات وبالأخص الفواعل المركزيين مهما ابتعدوا عن موطنهم الأصلي يعودون إليه»³.

¹ محبوبة محمد آبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ،ص 109.

² نفسه ، ص109.

³ سعيد يقطين لقال الراوي ، البنيات الحكائية في السير التبعية ، بيروت المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ط1، 1997 ، ص237.

وهذا ما نلمسه في قصة حفرة في الجبين نلاحظ أنّ شخصية (مصطفى) بعد أن غادر مكانه الأليف يعود من جديد إلى المكان نفسه، إذ غالباً ما تأخذ حركة الشخصية القصصية من مكانها الأصلي شكلاً يعود بها إلى النقطة المكانية التي تحركت منها هذه التحولات كثيراً ما تحدث للشخصية القصصية الرئيسية.¹

هذه العودة تشير إلى مدى ارتباط هذه الشخصيات بمكانها الأصلي.

4-2- علاقة الكراهية بين الشخصيات و المكان :

عندما « تزداد الشخصية نفورا من المكان الذي يحيط بها ويتعمق الحسّ بعزلتها في هذا المكان تكتسب قوة مضافة لمعارضة المكان لتحقيق نفسها من خلال استدعاء أمكنة ماضية أو متخيلة».²

« فكلما ازدادت الغربة بين الإنسان ومحيطه كلما ازداد التنافر».³

مثلاً نلاحظ في قصة الولد الثالث ترسم شخصية فاطمة صورة سوداوية مليئة بالكراهية عن البيت الذي تعيش فيه، وتتذكر اللاذقية لتحقيق ذاتها من خلال ذكرياتها وهي تعاني من حالة نفسية صعبة، لذلك فإنّ كلّ ما تشعر به من يأس وبؤس وتشاؤم من الحياة تسقطه على البيت الذي تقيم فيه، فنجدها تشبه هذا البيت بالبئر اللّزج لتوحي بطبيعتها النفسية ومدى كراهيتها له.⁴

¹ محبوبة محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص110.

² نفسه ، ص110.

³ فرحان البيحي ، تجليات المكان في أقاصيصي جولانية ، الموقف الأدبي ، ص382 ، المؤسسة العربية السورية ، 2003، ص146.

⁴ محبوبة محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص110.

لم يصدر هذا التشاؤم إلا عن نفس كرهت ذلك المكان الذي تعيشه، وقد أدى بها هذا الكره والتشاؤم إلى الهروب والعودة إلى مدينتها، إضافة إلى استخدام الكاتب في نصّه القصصي علامات التشاؤم كالحزن والعذاب المعنوي.

« يتحوّل هذا الفضاء المكاني المغلق في قصّة الولد الثالث بحكم التوتر والكرهية التي تعاني منها فاطمة إلى مكان إجباري مثير للقرع في نفس المتلقي».¹

5- العلاقة بين الحدث والمكان:

يعدّ الحدث من العناصر الفنية التي يقوم عليها الفن القصصي و « الحدث مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو تجعل الحدث إطارا عاما».² وإضافة إلى عناصر القصّة الأخرى الشخصية والمكان والزمان واللغة، والحدث من أبرز عناصر القصة أو الرواية كونه العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية السابقة، فعنصر الحدث لا يمكن دراسته بمعزل عن تلك العناصر.

والحدث أهم عنصر في القصة القصيرة « ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله، يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان والسبب الذي قام من أجله، كما يتطلب من الكاتب اهتماما كبيرا بالفاعل والفعل لأنّ الحدث هو خلاصة هذين العنصرين».³

إنّ الحدث لا يمكن دراسته بمعزل عن الزمن، كما نجد ارتباطه بالشخصية لأنها تعدّ الصانعة للحدث، وله أيضا ارتباط وثيق بالمكان لأنّه الفضاء الذي يستوعب الحدث.

¹ محبوبية محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، ص110.

² عبد الله حبيب كاظم ، سالم جمعة كاظم ، أبنية الحدث في الاعتراف الأخير مالك بن ريب ، ع25 ، 2012 ، ص67.

³ شريبط أحمد شريبط ، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص31.

إنّ الحدث يفرض التنقلات في الأمكنة، وهذه الأمكنة بدورها تقوم على تنويع الحدث وتحركه إذ يصعب لنا أن نجد قصّة أو رواية تجري أحداثها في مكان واحد.

وعند استعراضنا لأحداث ثلاثية البحر لحنا مينة « نجد أنّها تتوزع في أماكن متعددة في الطبيعة كالبحر والنهر مثلا، وفي الأحياء الفقيرة كحي الشرداق وفي السفن والبواخر والقوارب، وفي المقاهي والملاهي والسجون والزنانات والموانئ والمرافئ...»¹ وهذا التعدد في الأماكن يفرض بالتالي تنوع في الأحداث « وهذه الأمكنة تؤثر تأثيرا عميقا بالشخصيات وأفعالها، والأشخاص لهم أفعالهم في هذه الأماكن التي قد تكون متوترة أو عنيفة أو هادئة أو عميقة أو سطحية، وبالتالي يتم تحريك الحدث وتنوعه من خلال هذه الأماكن في حياتنا اليومية التي نعيشها».²

يمكن أن نجد مجموعة من الأحداث في آن واحد لكن في الرواية. والقصة يختلف الأمر، لا يمكنها ذلك، لأنّها تخضع لعوامل عدّة من الإبداع والخيال، وإعادة ترتيب الأحداث.

يقول ميتشل بوتور في صدد تعدد الأمكنة في الرواية « لا وجود لرواية تجري جميع حوادثها في مكان واحد منفرد، وإذا ما بدا أنّ الرواية تجري في مكان واحد خلقنا أو هامنا حقّ تنقلنا إلى أماكن أخرى، وللمكان فاعلية في الشخصيات والأحداث معا».³ فليس هناك حدث خارج المكان.

¹ مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة ، ص217.

² نفسه ، ص218.

³ نفسه، ص 218.

«إنّ المكان يعطي النشاط والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية، وقد يجري الحدث في مكان ضيق ومحصور كالبيوت، أو مكان واسع كالبحر مثلاً»¹. فهذه الأحداث تؤدي إلى تحولات على المستويات الاجتماعية والاقتصادية.

في ثلاثية البحر تأتي الأحداث منذ البداية وتمتد حتى النهاية لنرى بطلا لا يهزم، وفي نهاية الرواية نرى هزيمة البطل.

« الأحداث كثيرة ومتنامية في ثلاثية البحر، رئيسية كانت أم ثانوية، ومحرّك هذه الأحداث أبطال الثلاثية، وإنّ الأمكنة وتنوعها وتعدّدها شكّلت أساسا لتنوع الأحداث فكانت الأمكنة الآتية: البحر، المقاهي، الملاهي، الموانئ، والمرافئ، الأحياء الشعبية الفقيرة (حي الشرادق)، النهر في الأناضول (السفن، البواخر والقوارب)... بيروت، الاسكندرية، دمشق...»² فكل هذه الأماكن خلقت فضاء للشخصيات والأحداث، فالمكان مهم جدا لتأطير الحدث وتنظيمه.

« المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل معها في علاقات متعدّدة، وإنّ ظهور الشخصيات ونمو الأحداث يسهم في تشكيل البناء المكاني، هذا المكان الذي لا يتشكّل إلا باختراق الأبطال له، والحدث كان في خدمة البطل»³.

من هذا يمكن لنا أن نقول أنّ العلاقة بين الحدث والمكان علاقة جدلية « فالفضاء المكاني كفضاء البحر، أو فضاء السجن أو فضاء المدينة... وغيرها، والبحث في امتداداتها الرمزية والإيديولوجية أساسي، ويمكن القول إنّه عندما لا يوجد حدث لا يوجد مكان»⁴. وفي هذه الثلاثية نرى أنّ « البحر كمكان يتلاقى مع الشخصية وأحداثها وبحركته وهدوئه

1 مهدي عبيدي ،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، ص218.

2 نفسه ، ص219.

3 نفسه ، ص219.

4 نفسه ، ص219،220 .

وجنونه، يؤثر في هذه الشخصية وأحداثها، وبالتالي فإنّ الحدث بامتداده واتساعه وسكونه وتمرّده، يأخذ صفته من هذا المكان ويتلاقى معه»¹.

إنّ في هذه الثلاثية أحداث كثيرة لهذا نكتفي بهذا المثال « علاقة البحر كمكان بالحدث وعلاقة الحدث، العاصفة بالمكان البحر»².

فرغم رحابة البحر، إلا أنّ هذه الثلاثية اعتمدت على تعميم الأمكنة وضيقها، وذلك ليعكس الكاتب حالة الانتداب الفرنسي ليجعل الباخرة الفرنسية الغارقة مكانا يحتضن ذرة الأحداث.

¹ مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ،ص221.

² نفسه ، ص222.

الفصل الثاني

تجليات المكان في المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين

تقديم مجموعة أرض البرتقال الحزين:

أرض البرتقال الحزين هي المجموعة القصصية الثانية للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني نشرت للمرة الأولى عام 1962، تقع هذه المجموعة حوالي 120 صفحة موزعة على ثمانية قصص، رسم كنفاني في هذه المجموعة الأوجه المتعددة لمأساة الفلسطيني كأنه يريد من القصة أن تكون مرآة للواقع والذاكرة، ومن اللّغة أن تكون مجموعة من الانحناءات المتعددة أمام الألم الإنساني الذي يتجسد في هذه المرأة، كأنّ الفلسطيني لا يستطيع أن يتحرر من ذاكرته في لحظات الذهول أمام المأساة، أو كأن هذه الذاكرة ستكون البوابة التي سيعبر منها إلى حيث يكتشف الطريق الوحيد الممكن إلى ذاته.

وتتمثل هذه المجموعة القصصية في:

- 1- قصة " أبعد من الحدود "
- 2- قصة " الأفق وراء البوابة "
- 3- قصة " السلاح المحرم "
- 4- قصة " ثلاث أوراق من فلسطين "
- 5- قصة " الأخضر والحمير "
- 6- قصة " أرض البرتقال الحزين "
- 7- قصة " قتيل في الموصل "
- 8- قصة " لاشيء "

ونلاحظ في هذه القصص بروز عنصر المكان، كما نجد اختلاف في المكان من قصة إلى أخرى، حيث نجد في هذه المجموعة عدّة أمكنة لها إichاءات ودلالات تحمل حياة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاستيطان والاحتلال ومعاناة اللاجئ الفلسطيني.

1- تجليات المكان في قصة أبعد من الحدود :

تدور أحداث هذه القصة بين شخصيتين الأولى محقق إسرائيلي، والثانية شاب فلسطيني الذي هو بطل هذه القصة، وهذا البطل ممن يؤمنون بأنّ الوطن ليس للبيع، وفيها قدّم كنفاني صورة غير مباشرة رؤيته حول الاختيار بين أمرين، حق المواطنة، أم الاعتقال فكان مع الاعتقال حتى لا يذوب في الواقع الاستسلامي، أمّا ما يخص مكان حدوث هذه القصة فقد اتخذ كنفاني البيت كمكان لبداية ونهاية أحداثها، وبل البيت بكل زواياه، فنجد ذكره لغرفة الطعام وغرفة النوم والحمام ، فطبعاً وجود البيت يحتم وجود كل هذه الأماكن، التي تعتبر أماكن انتقال الشخصيات داخل هذا البيت، كما نجد ذكر لبعض أماكن اللجوء التي تشتت فيها الإنسان الفلسطيني.

1-1- البيت بين الألفة والذاكرة:

لقد صوّر لنا كنفاني ما يحدث داخل هذا البيت الذي هو ملك المحقق مشيراً فيه إلى الحياة المريحة التي يعيشها هذا المحقق، وهذا ما يتجلى في قوله: « صعد الرجل الهام الدرجات القليلة إلى بيته فتح له الباب ألقى محفظته الجلدية فوق الطاولة، قبل زوجته نظر إلى طفله النائم في الحرير الأزرق فكّ رباط عنقه، ساعده الخادم على خلع حذائه أخذت زوجته المعطف علقته على المشجب فرك يديه مستمتعا بالدفء»¹.

في هذا النص يكشف لنا المكان الحالة النفسية لهذا المحقق وعائلته فهم يعيشون في بيت كله حب وحنان، وغنا ورفاهية، وفي مقطع آخر « قام عن الكرسي الوثير انتعل

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أبعد من الحدود، دار المنشورات الرمال، 2013، قبرص، ص 9.

شحاظته ذات الفرو اجتاز الباب إلى غرفة الطعام جلس في كرسيه المفضل قرّب وجهه من صحن الحساء واستمتع بالبخر المتصاعد»¹.

صورة البيت هنا تحيل إلى ساكنيه، وإلى الوضع الاجتماعي الراقى الذي تعيشه هذه الأسرة فهذه الجماليات ترتبط بمفهوم الأسرة والألفة والعطف والحب و التراحم، أمّا البيت عند الفلسطيني في هذه القصة يحمل دلالة الحزن والفراق والشيء الذي يربطه ببيته مجرد ذكريات حزينة، وهذا ما يتجلى في قول الشاب « لي أم ماتت تحت أنقاض بيت بناه لها أبي في صفد»².

فصورة البيت هنا تبيّن الحالة التي يعيشها هذا الشاب من حزن و أسى لفقدانه لأعزّ شخص إليه أمه التي لن يراها ثانية إضافة إلى الحياة الدنيئة التي يعيشها في وطنه، الذي من المفروض أن يعيش فيه بكل عزّة و كرامة ، فبعدما فقد أمه التي أنجبته رفض أن يفقد أمه التي ربتة (الوطن).

البيت في هذه القصة يصور لنا الوضع الذي تعيشه كل من الشخصيتين، الفلسطينية و الإسرائيلية حيث نجد أن بيت الإسرائيلي تحول إلى مكان لمعالجة الأمور الوطنية و السياسية أمّا بيت الفلسطيني مجرد استرجاع للذكريات المؤلمة فحمل دلالة الحزن والأسى.

1-2- أماكن اللجوء و شتات الإنسان الفلسطيني:

في قصة أبعد من الحدود لم يذكر كنفاني الأماكن بالاسم بل اكتفى بالإشارة إليها وهذا ما نلمسه في قوله: « أبي يقيم في قطر آخر وليس بوسعي الالتحاق به ولا رؤيته ولا زيارته، لي أخ يا سيدي يتعلم الدّل في مدارس الوكالة، لي أخت تزوجت في قطر ثالث

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أبعد من الحدود ، ص10.

² نفسه، ص12.

وليس بوسعها أن تراني أو ترى والدي لي أخ يا سيدي في مكان ما لم يتيسر لي أن أهتدي إليه بعد....»¹

يعطي كنفاني أبعاداً مختلفة للقضية الفلسطينية وبشكل خاص الآم اللاجئين الفلسطينيين في الرحيل والبعد والآلام التي رافقته في مخيمات النزوح مع شتات للجسد والروح والذاكرة ليتحول اللاجئ من إنسان إلى حالة يتاجر بها سياسياً وسياحياً وتجارياً، وهذا ما نلمسه في هذا المقطع « أنا أريد أن أقول أيضاً إنهم من ناحية أخرى حالة تجارية إنهم أولاً قيمة سياحية فكل زائر يجب أن يذهب إلى المخيمات وعلى اللاجئين أن يقفوا بالصف وأن يطلوا وجوههم بكل الأسى الممكن زيادة عن الأصل فيمر عليهم السائح ويلتقط الصور ويحزن قليلاً... ثم يذهب إلى بلده ويقول زوروا مخيمات فلسطين قبل أن ينقرضوا»². وفي آخر «لقد أصبحوا مؤسسة من مؤسسات الحياة السياسية التي تدر الريح يمينا ويسارا»³. فلقد أصبح اسم كل فرد من العائلة مرتبطاً بالبلد الذي نرح إليه.

في هذه النصوص يريد كنفاني أن يبين لنا الحالة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني المشتت في بقاع الأرض، و التي عان من خلالها كل أشكال الظلم فالمكان في النصوص السابقة تعكس حقيقة الشخصية المتشائمة، حيث ربط كنفاني هذا التشاؤم بالمكان الذي جرت فيه أحداث القصة (البيت) باعتباره مكان ضيق.

1-3- نافذة الحمام وسيلة عبور للشخصية الفلسطينية :

الدخول من النافذة تحمل دلالة الشرّ، غير أنّ القاص أراد أن يقلب هذه المعادلة ليبيّن لنا شيئاً آخر، حيث أصبحت هذه النافذة المكان الحاسم لحياة هذا الشاب الفلسطيني باتخاذها

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أبعد من الحدود ، ص12.

² نفسه، ص16.

³ نفسه، ص16.

وسيلة الدخول إلى بيت المحقق، ولكن هذا الدخول ليس لغرض السرقة كما هو معروف، بل ليرجع حقه الضائع وإيصال رسالته بأنّ وطنه ليس للبيع « الشاب الذي هرب من النافذة عاد من النافذة يا سيدي»¹.

«لن تقاطعني يا سيدي، أليس كذلك، أريد أن ألقى خطابا»².

« لا لن أقاطعك»³

من هذا يتبين لنا أنّ هذا المحقق يعطي فرصة للشباب لإبداء رأيه والإنصات له. فهذا الشاب يؤمن بأنّ الوطن ليس للبيع، وله الحق في المواصلة كغيره، وهكذا قدّم كنفاني رأيه حول الاختيار بين أمرين نفي المواطنة أو الاعتقال فكان مع الاعتقال، حتى لا يذوب في الواقع الاستسلامي، حين قال: « فأنا لست صوتا انتخابيا، وأنا لست مواطنا... وأنا ممنوع من حق الاحتجاج ماذا سأخسر إن بقيت وراء المزلاج»⁴.

فلعلّ « أقسى ما يعانيه الإنسان حين يضيع الوطن أنّه يحسّ بضياع الأمان والاستقرار»⁵.

فلقد شهد هذا الشاب الاغتراب في وطنه القابع وإيّاه تحت سطوة الاحتلال الصهيوني ملتمساً استعادة هويته المفقودة أو حماية هويته المهددة.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أبعد من الحدود ، ص11.

² نفسه، ص11.

³ نفسه، ص11.

⁴ نفسه، ص14.

⁵ ماجدة حمود، الموقف الأدبي ، مجلة أدبية شهرية ، اتحاد العرب ، دمشق ، 2003 ، ص61.

2- تجليات المكان في قصة الأفق وراء البوابة :

تدور أحداث هذه القصة عن بطل يأخذ أخته الصغيرة لتعيش معه في عكا، وكلما سألته أمه عن أحواله وأحوال أخته الصغيرة يقول لها: نحن بخير، لكنه بعد سنوات يعيش بتأنيب الضمير لأنه كان يكذب على أمه، إذ أن جيش الاحتلال هاجم "عكا" ولم يستطع إنقاذ أخته، وفي نهاية القصة يرى ضرورة تحرير نفسه من هذه الكذبة ومن القدر الأسود الذي حمله طيلة السنوات العشر، وليتخلص من هذه الكذبة عليه الذهاب إلى مندلبوم المكان الذي سيزيل فيه هذا العباء، بالإضافة إلى الأمكنة التي ذكرناها سابقاً، نجد أمكنة أخرى اعتمد عليها القاص في تقديم هذه القصة ولا بد من الإشارة إليها.

2-1- الفندق المكان البديل للشخصية الفلسطينية :

يعدّ «الفندق من الأماكن المغلقة التي تتميز بها المدينة ومن المظاهر الحضارية لأية دولة، و هو مكان له عالمه الخاص، فهو مؤقت يشير إلى مسافر يقيم فيه إقامة مؤقتة، ثم لا يلبث أن يرحل، لذا لا يترك في الشخصية ذكريات عميقة، أو آثار نفسية التي يتركها البيت مثلاً، لأنه مكان عابر في حياة الشخصية»¹

أما دلالة الفندق في هذه القصة تعكس الترحال الدائم للفلسطيني عن وطنه، وقد شهد هذا المكان معاناة الشعب الفلسطيني وصراعهم الدائم من أجل البقاء فالقاص ذكر اسم الفندق في هذه القصة مرتين فقط لحظة عودة الشخصية إلى الفندق « لقد أنزلته السيارة على باب الفندق»² و

¹ عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، ص96.

² غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأفق وراء البوابة، ص21.

في نص آخر «ولكنه في لحظة وقوفه على سلم الفندق»¹. وهذا الترحال عند الفلسطيني اضطراري وليس رغبة منه وهذا ما نلمسه في هذا القول «كيف تركت يافا»².

يؤدي الفندق في القصة الفلسطينية دورا مهما، فهو يعكس تشتت الفلسطيني في أرجاء العالم إثر تشريده من وطنه.

2-2- الغرفة و استرجاع الذاكرة :

تعتبر الغرفة مملكة الإنسان ومرآته في الوقت نفسه، والغرفة هي المكان الذي يمارس فيها الإنسان حياته باعتباره المكان الأكثر احتواء للإنسان والأكثر خصوصية، وهي تمثل مكان الجلوس دون إزعاج « استلقى في سريره وصالب ذراعيه تحت رأسه كانت العتمة قد بدأت تبسط كفها فوق المدينة النائمة، ولم يكن ثمة في الغرفة إلا فكرة واحدة حاسمة الذهاب إلى مندلبوم»³.

هذا النص يرتبط بمعاني الظلام والعزلة، مما ساعد على بناء جمالية المكان فدلالة السرير التفكير والتركيز العميق لكي تجد شخصية البطل السبيل تستطيع من خلاله مواجهة الأم والحقيقة، حيث قرّر أنّ تلك البوابة هي الحاسمة والسارد في هذه القصة لم يقف على وصف جدران الغرفة أو ما تحويه من أثاث وغيرها. وإنما صبّ كل تركيزه على شخصية البطل التي تلتحم هذا المكان، ونرى في نص آخر « تقلب في فراشه وخيل إليه أنّه يسمع وجيب قلبه يضرب في جسده كله كالوتر المشدود، سوف يبدأ من البدء، منذ أن يغادر يافا إلى عكا ليرى الفتاة التي كانت تزمع أن تخطبها له، إنّه يذكر تلك اللحظة بكل دقائقها كيف وقفت أمه على السلم تدعو له بالخير والتوفيق»⁴.

1 غسان كنفاني ، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأفق وراء البوابة ، ص22.

2 نفسه، ص28.

3 نفسه، ص21.

4 نفسه، ص23.

فصورة هذا النص هي استرجاع الشخصية للزمن الفائت الذي أحسّ به يوماً بنوع من السعادة والطمأنينة، وكيف يمكن له أن يترك هذا وكيف له أن يترك يافا.

وفي موضع آخر نجد أنّ الغرفة تحمل مشاعر الحزن والأسى في نفسية البطل ويزيد من معاناته وآلامه لما صار لأخته (دلال) عندما تحولت الغرفة إلى مسرح الجريمة « كان في الغرفة حين تفجرت جهنم في وجهه»¹. وفي نص آخر «ذهب إلى غرفته وعانق (دلال)... وقبل أن يعي كانت الأكتاف قد أنهدت فوق الباب وانفتح رشاش ثرثار فزرع في الغرفة رصاص كالمطر»².

تتصل هذه الرؤية الداخلية للمكان بدلالات الحزن والحسرة، إذ أنّها تكشف عن الحالة التي وقعت فيها الشخصية، والتي عانت من خلالها، واستعان القاص بالفراش كرمز لاسترجاع الزمن الفائت.

2-3- بوابة مندليوم مكان إلتقاء العائلة الفلسطينية المشتتة :

هذه البوابة بمثابة حاجز أو فاصل، كان قد وضع بين المنطقة الغربية من القدس والمنطقة الشرقية التابعة للإدارة الأردنية آنذاك.

وهذه البوابة هي التي تحدد أحداث هذه القصة وتربطها بالسياق الواقعي، وكانت ترصد علاقة الفلسطيني إثر النكبة، وهذا ما أتى عليه كنفاني في هذه القصة « بوابة مندليوم التي ترتفع فاصلاً من الحجارة بين الأرض المحتلة والأرض الباقية»³. وقد جاءت هذه البوابة المنفذ الوحيد للتنقل بين شطري مدينة القدس، كما أصبحت هذه البوابة النقطة الحاسمة في حياة (علي) ومواجهة الحقيقة التي لازمته طيلة عشر سنوات حقيقة موت أخته

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأفق وراء البوابة، ص24.

² نفسه، ص25/24.

³ نفسه، ص22.

(دلال) ولم يكن ثمّة في الغرفة إلاّ فكرة واحدة حاسمة «لأبد من الذهاب غدا إلى مندلبوم».¹

«كان اللقاء في ظل البوابة الكبيرة باكرا صباح اليوم التالي لم ير(علي) أمه فيما كان يتفرس بالوجوه، خالته فقط كانت هناك لم يعرفها بادئ الأمر لكنها عرفتة واستطاعت أن تدلّه على مكانها بين الجموع، وغمرة اللقاء سألته السؤال الذي أتى خصيصا ليجيب عليه».²

«أين أحتك دلال؟»³

«لكنك لم تقولي لي أين أمي».⁴

«مدت خالته يدها فوضعتها فوق ذراعه وأتاه صوتها مشحونا بأسى لا يصدق أين دلال؟ دلال».⁵

فقد وصل إلى المكان الذي يتحرر منه من هذا الكذب « حاولت خالته أن تقول شيئا ولكنها لم تستطع، تراحمت سيول من الكلمات في حنجرتها فسكتت وابتسمت ابتسامة باهتة لا معنى لها، ثمّ مدّت يدها الراجفة تمسح على كتفه بحنو كسيح، فيم أخذ ينظر بهدوء إلى الأفق الذي يقع خلف بوابة مندلبوم».⁶

في هذا النص يتبيّن لنا أنّ (علي) فقد شخص آخر في حياته، فقد أتى إلى هذه البوابة ليتخلص من العبا الذي حمله طيلة عشر سنوات ليحمل عبأ آخر انتظار أمه التي لن تأتي.

1 غسان كنفاني ، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأفق وراء البوابة ، ص26.

2 نفسه، ص26.

3 نفسه، ص26.

4 نفسه، ص26.

5 نفسه، ص27.

6 نفسه، ص28.

إذن فبوابة مندلبوم هي صورة درامية واقعية التي تحاكي المأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني، وتمثل الحاجز بين المنطقة الغربية والشرقية من القدس حيث اعتبرت مكان الالتقاء محلقة وصل بين شخصيات هذه القصة التي تحمل رمز الانكسار الداخلي والذاكرة المكسورة.

3- تجليات المكان في قصة السلاح المحرم :

تدور أحداث هذه القصة حول بندقية صار حولها صراع بين شخصية البطل (أبا علي)، فلسطيني مع جندي إسرائيلي الذي يصر على الإقامة بالقرية، لكن أهل هذه القرية يرفضونه لأنّ لديه مصدر القوة المتمثلة في البندقية، ودلالة هذا السلاح الموت، ولهذا للرجل الفلسطيني مبرراته للحصول على البندقية وإصراره على سرقتها وبالفعل تمّ ذلك، حيث ذكر كنفاني أهمية هذا الحدث بأنّه ليس عاديا (وأبا علي) ليس برجل عادي، له منزل يقع على الحافة الغربية للقرية فوق تلة الزيتون و مسؤوليته حماية بيته و القرية من الاحتلال الصهيوني، وهذا ما دفعه وشجّعه للحصول على هذا السلاح.

فهذا يبيّن لنا أهمية السلاح عند كنفاني، فقد رآه الدم الذي يمدّ الثورة بالحياة ويعيد الأمل في عودة الوطن، أمّا ما يخص المكان الذي تجري فيه أحداث هذه القصة، فهو قرية فلسطينية.

3-1- القرية: ساحة الحدث

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش منفردا منعزلا عن الآخرين فلا بدّ من وجود مكان يستقر فيه ويتعايش مع مجتمعه ومن بين هذه الأماكن القرية، ففي قصة

السلاح المحرّم لم يحدد كنفاني المكان بالاسم بل اكتفى بذكر قرية «كان لبعض شباب القرية ورجالها يلتفون حول شيء ما»¹.

من دون التعريف بها وجعل القرية بظاهاها بسيطة كأنها تحكي عن جميع القرى الفلسطينية، وعند مرور (أبا علي) على ساحة القرية، وأمام تلك المجموعة من الشباب دفعه الفضول لمعرفة سبب ذلك الاجتماع ليجد «سيارة جيب يقف إلى جانبها جندي أجنبي بلباس الميدان الكامل معلقا على كتفه بندقية جديدة، وتذكر ان هذا الجندي كان قد أتى مرارا إلى القرية بغية أن يقيم فيها لكن أهل القرية كانوا يرفضونه دائما، ليس لشيء آخر، إلا أنه كان يحمل معه سلاح»².

فالقرية هنا نموذج عن فلسطين، فهي قرية من القرى الفلسطينية معرّضة للاحتلال الصهيوني، وفي نظر البطل (أبا علي) سرقة ذلك السلاح هو الحل الوحيد الذي يخلّصه من هذا العدو، حيث قال للرجل الذي يقف أمامه «من الذي يريد خطفها»³.

فردّ عليه: «لم يقرر أحد بعد، أنظر إلى عينيه الزرقاوين كيف تغزلان، إنه ملعون حذر ككلب صيد»⁴.

فقال (أبا علي): «إذن يجب أن نخطف البندقية، لقد كان القرار نهائيا ولكن الأمر لم يكن سهلا، صحيح أن السكين طويلة غير مثبتة في ماسورة البندقية، إلا أنها تتأرجح هناك على حزام الجندي وإذا أراد أن يصل إليها فإنه لا يحتاج لوقت طويل»⁵.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة السلاح المحرّم ، ص30.

² نفسه، ص30.

³ نفسه، ص31.

⁴ نفسه، ص31.

⁵ نفسه، ص32.

هذا النص يبيّن لنا عزيمة وإرادة (أبا علي) في الحصول على هذا السلاح، ثمّ صاح

أبا علي « سأخذها أنا يا شباب»¹.

«أنت سيدها يا أبا علي، إنّها حلالك»².

«حين تصير البندقية في يدي، وسعوا لي طريق الهرب، وإذا حاول أن يلحق بي

سدّوا الطريق بوجهه»³.

«معقول يا أبا علي اعتمد علينا»⁴.

اعتمد كنفاني على تقنية الحوار ليجعل الشخصية تتكلم وجعل هذه الأحداث متسلسلة ومن خلال أحداث هذه القصة يثبت لنا كنفاني شجاعة (أبا علي)، وجرأته وإصراره، كما يمثل أيضا الرجولة الفلسطينية، أمّا السلاح هو حلم الثورة الفلسطينية، واقترب كنفاني الرجولة بالبندقية ليرز علاقة الفلسطيني بالسلاح، إضافة إلى أنّ الفلسطيني يمثل الجماعة وليس الفرد.

3-2- البيت الخوف والرعب الذي تعيشه الشخصية الفلسطينية:

«البيت مكان مغلق للعيش والسكن يقضي فيه الإنسان فترات زمانية طويلة فهو

مأوى اختياري، وضرورة اجتماعية يمنح الألفة والأمان، فيه ينشد الإنسان الراحة والسكينة وفيه تتشكل الشخصية في مراحلها الأولى ولا يلبث هذا البيت أن يشغل حيزا مهما في

ذاكرته لأنّه يمنحه الشعور بالطمأنينة من الخارج»⁵.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة السلاح المحرم ، ص33.

² نفسه، ص33.

³ نفسه، ص33.

⁴ نفسه، ص33.

⁵ عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى خلف، ص85.

أمّا في هذه القصة (السلاح المحرم) قلب القاص هذا المفهوم ليبيّن لنا دلالة أخرى غير الألفة والأمان.

القاص لم يقف على وصف هذا البيت من الداخل بل اكتفى بذكر ما يوجد خارج هذا البيت، الباب الخلفي وحديقة صغيرة وكوخ الدجاج كما ذكر موقع هذا البيت «إنه يقع على الحافة الغربية فوق تلة مزروعة بالزيتون»¹ ولكن هذا البيت بحاجة للحماية لأنّ « في الأعراس الممتدة تحت تل الزيتون تكثر الضباع»².

وهذا ما دفعه وشجّعه للحصول على البندقية حتى يحارب الضباع (الاحتلال الصهيوني) وحماية هذا البيت والقرية.

فدلالة البيت هنا تحمل دلالة الخوف وعدم الأمان « تمكن الضباع من الوصول إلى البيت والتحويم حوله طوال الليل»³.

«وأم علي خافت على أولادها فأرسلتهم إلى القرية ليكونوا بعيدين عن ذلك الرعب وبقيت هناك تنتحب على زوجها ومصيرها»⁴.

الضباع يمثل الاحتلال الصهيوني الغادر الذي ينتظر الليل لسرقة الدفئ من بيت أبا علي كما يستوطن الاحتلال فلسطين مستغلا لها، «وترسل الضباع عوائها الحاد في صمت القرية باعثة فيها الرعب»⁵ وهكذا دقت المدافع والرصاص الصهيوني في ظل الصمت العربي.

¹ غسان كنفاني ، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة السلاح المحرم، ص37.

² نفسه، ص37.

³ نفسه، ص38.

⁴ نفسه، ص38.

⁵ نفسه، ص38.

4- تجليات المكان في قصة ثلاث أوراق من فلسطين (ورقة من الرملة، من الطيرة، من غزة).

في قصة ثلاث أوراق من فلسطين، الورقة الأولى ورقة من الرملة، يتذكر الراوي طفولته عندما كان في التاسعة من عمره، ومشهد جنود الاحتلال وقد حاصروا الأهالي وأجبروهم على رفع أذرعهم والوقوف في الشمس، كما أنها تحكي عن رجل فقد ابنته وزوجته بعد قتلها من طرف الإسرائيليين، فيبيع أملاكه ليشتري أسلحة ومتفجرات يفجر بها نفسه، ومن معه من المحققين وقت استجوابه إياه.

أما الورقة الثانية من الطيرة تحكي عن مقاتل قديم منفي في دمشق يبيع الكعك، ويسأل الماضي مبدئياً الجوانب الإيجابية للكفاح المسلح، وفي الوقت نفسه معبراً عن استيائه من رؤساء الدول العربية الذين كانت في يدهم القيادة.

أما الورقة الثالثة ورقة من غزة تحكي عن المنفي الذي يبحث عن السعادة في أمريكا وقد دعاه صديقه للعودة إلى الوطن للقيام بواجبه في الصراع ضدّ العدو.

وأظهرت هذه الأوراق الثلاث جوانب للماضي تمثلت في: الشهيد ذو المشاعر الوطنية، المقاتل الذي خاب ظنه، والهارب أمام الحقيقة.

وتتجلى أماكن هذه القصة في:

4-1- الشارع شاهد على الظلم الصهيوني :

يمثل الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة وأحد العلامات المكانية البارزة فيها، تنفتح عليه الأبواب وتتحرك من خلالها الشخصيات ويستقبل كل فئات المجتمع حيث يمنحهم كامل الحرية في التنقل.

وفي قصة ثلاث أوراق من فلسطين، نجد أنّ كنفاني قلب الرؤية العامة للشارع حيث منحها دلالة أخرى وهي فقدان الحرية التامة للشخصية، وهذا ما جاء في قول كنفاني «أوقفونا صفين على طريق الشارع الذي يصل الرملة بالقدس، وطلبوا أن نرفع أيدينا متصالبة في الهواء، وعندما لاحظ أحد الجنود اليهود أنّ أمي تحرص على وضعي أمامها كي أتقي بظلها شمس تموز سحبني من يدي بعنف شديد، وطلب مني أن أقف على ساق واحدة وأن أصالب ذراعي فوق رأسي في منتصف الشارع الترب...»¹

صوّر لنا القاص في هذا النص المعاملة التي يعامل بها الفلسطينني من طرف الاحتلال الصهيوني، وذلك بغض النظر عن عمره أو جنسه. «كنت في التاسعة من عمري يومذاك وقد شهدت قبل أربع ساعات فقط كيف دخل اليهود إلى الرملة وكنت أرى وأنا واقف هناك في منتصف الشارع الرمادي كيف كان اليهود يفتشون عن حلى العجائز والصبايا وينتزعونها منهن بعنف وشراسة»².

يرتبط وصف الشارع بذاكرة البطل وبما تختزنه من أحداث مأساوية، فلم يكتف اليهود بتجريدهم من حريتهم فقط، بل تعدّوا إلى أشياءهم وممتلكاتهم، لينتقل السارد إلى وصف المشهد المأساوي لهذا الشارع « سمعت صوت ثلاث طلقات متقطعة دقيقة، ثمّ تيسر لي أن أرى وجه (أبي عثمان) يتموج بأسى مريع ونظرت إلى (فاطمة) مدلى رأسها إلى الأمام، ونقاط من الدم تتلاحق هابطة خلال شعرها الأسود إلى الأرض البنية الساخنة»³.

في هذا النص أخذ الشارع بعده الدرامي بما يثيره في البطل من مشاعر الحزن والألم، فقد تحول الشارع في هذه القصة إلى مسرح للجريمة والموت.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص45.

² نفسه، ص45.

³ نفسه، ص45.

4-2- الدكان :

الدكان عبارة عن محل أو متجر صغير، ويقام في السوق أو على الطريق ويرتبط ببيع أو تبادل أو شراء السلع، كما يعتبر أيضا مصدر رزق وعيش به يكتسب الإنسان قوته وإعالة عائلته.

نجد دلالة هذا الدكان تتغير عند كنفاني في قصة ثلاث أوراق من فلسطين بعدما كان متجر عادي «زوجته التي طالما رأيتها متربعة أمام دكانه تنتظر انتهاءه من الغذاء كي تعود إلى الدار بالأواني الفارغة»¹. هذا النص يبيّن لنا الحالة العادية التي يمكن أن يعيشها أي تاجر في حياته اليومية، لكن ليس هذا ما أراد كنفاني تصويره، بل غير دلالة هذا المفهوم، إلى معنى آخر غير من مجرى الأحداث في هذا الدكان، ليصبح رمزا من رموز الثورة الفلسطينية، «لقد انقلبت دكانه إلى مخزن للمتفجرات والأسلحة»². فهذا السياق يرتبط بالتحول المكاني من خلاله يحاول الكاتب أن يكشف لنا مدى ارتباط الإنسان الفلسطيني بالثورة، فكنفاني رصد لنا علاقة الفلسطيني بالسلح، وهذه العلاقة ليست علاقة فردية، بل أضفى عليها طابعا اجتماعيا لذلك امتدت العلاقة بين صاحب الدكان (أبي عثمان) لتشمل كل أبناء القرية، وهذا ما أشار إليه في هذا النص «وعندما بدأت حرب فلسطين الأخيرة باع كل شيء واشترى أسلحة كان يوزعها على أقاربه ليقوموا بواجبهم في المعركة»³.

وفي مشهد آخر يصور لنا كنفاني شجاعة الإنسان الفلسطيني وصموده أمام الاحتلال الصهيوني، ويرى ضرورة التضحية في سبيل الوطن «ذهب إلى غرفة القائد ليعترف بما

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص49.

² نفسه، ص50.

³ نفسه، ص50.

يعرف سمع الناس انفجارا هائلا هدم الدار وضاعت أشلاء أبا عثمان بين الأنقاض... (إنّ أبا عثمان) عندما ذهب إلى دكانه قبل أن يدفن زوجه لم يرجع بالفوطة البيضاء فقط»¹.

في هذا السياق تجدر بنا الإشارة إلى عزيمة الإنسان الفلسطيني في التحرر من هذا الاحتلال، حتى وإن كلفته حياته، وهذا ما قام به البطل في هذه القصة، التي أصبحت نموذجا للإنسان الفلسطيني، الذي غامر بحياته من أجل وطنه.

فغسان كنفاني اهتم كثيرا بالعامل المكاني في قصصه، كون هذا المكان مسرح للحدث وشاهد عليه، وربطه بالكفاح، كأنما هذا المكان وضع خصيصا ليكون شاهدا على مأساة الفلسطيني.

كما نجد أنّ كنفاني اعتمد في تأطيره للمكان، على أماكن واقعية حيث ذكرها بالاسم، وهي: ميكور حاييم، هادار حيفا، مصنع الريفانيري، وتال أبيب. كلها أماكن موجودة في فلسطين قبل تقسيمها، لكن حاليا تابعة للإدارة الإسرائيلية.

3-4- ميكور حاييم التضحية بالنفس :

مستعمرة إسرائيلية متصلة بمدينة القدس مباشرة من جهة الجنوب، في هذه المستعمرة حدثت حرب كبيرة بقيادة (عبد القادر الحسيني)، الذي قام بشن هجوم على اليهود، وقد تمكن من السيطرة على جانب كبير منها والاستيلاء على كمية من الأسلحة و الذخيرة.

يروى لنا غسان كنفاني ذكريات المقاتل الفلسطيني القديم، ويتحدث عن الوقائع التي سبقت احتلال فلسطين، فيحكي عن المعركتين التي قادهما ضدّ الاحتلال الصهيوني « لقد تيسر لي أن أدخل معركتين مع إبراهيم أبو ديه رحمه الله، لم يكن يحارب إلا وهو واقف

¹ غسان كنفاني المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص51.

على قدميه، كأنه يلقي خطاباً، وكنا كنا نندفع إلى الإمام كأننا ذاهبون إلى عرس... رحمه الله»¹.

هذا النص يبيّن لنا ما مدى شجاعة المقاتل الفلسطيني، ومدى تمسكه بأرضه وحبّه له، وكيف كان يواجه عدوه بكل حماس.

تتحول دلالة المكان من صورة مظلمة ومخيفة إلى صورة مشرقة ومضيئة مليئة بالفرح والسعادة، فلا طالما كانت المعركة مكاناً للقتل وللموت، لكن في هذا المشهد تتحول المعركة إلى قاعة للاحتفال، ففيها ينتصر الفلسطيني على العدو ويسترجع أرضه وحرّيته.

وفي مشهد آخر يصور لنا حالة الجندي الذي أهمل من طرف السلطات الفلسطينية «خاض معركة في ميكور حاييم وخرج منها بست عشر رصاصة في ظهره كانت سبب شلله، ثمّ أمضى أربع سنوات بعدها يتعذب... أنت تستطيع أن تتصور كيف يكون شعور رجل مشلول أمضى حياته يحارب واقفاً على قدميه... لقد كان ينظر فقط ثم يبتسم، ويعود إلى التفكير بخمس وعشرين ليرة يحتاجها يومياً ثمن حقن المورفين تهدئ من عذابه بعض الشيء»².

تتحول دلالة المكان من الكفاح والصمود أمام الجيش الإسرائيلي والمحاربة بكل الأساليب إلى البحث عن العلاج لتخفيف الآلام التي خلّفتها المعركة.

وفي مشهد آخر يصور لنا غسان كنفاني معاناة (إبراهيم أبو ديه) «كان (إبراهيم أبو ديه) يحتضر وكان ثلاثة رجال يقفون إلى جانب سريره ليكونه... وطلب إبراهيم منهم

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص55.

² نفسه، ص56.

بصوت خفيض أن ينشدوا له نشيد موطني... لقد تعذّب كثيرا ومن كان قرب سريره وهو يموت؟ مسكين ألم أقل لك إنه لم يكن هناك من يهتم بالأبطال ويحافظ عليهم؟»¹

ينتقد غسان كنفاني البيروقراطيين الذين لم يفعلوا سوى الكلام عن فلسطين، وهم يدخلون السجائر ولم يهتموا بالأبطال الذين ضحوا بحياتهم من أجل الوطن.

4-4- مطحنة حيفا الاستشهاد في سبيل الوطن:

تمثل هذه المطحنة المؤول الأساسي للفلاحين الفلسطينيين لبيع منتجات القمح، لكن الجيش الإسرائيلي قام بنهبها والاستيلاء عليها، وقام بتشريد عمالها وتحويلها إلى مطحنة لسفك الدماء، وقتل الناس الأبرار.

يصور لنا غسان كنفاني الظلم الذي يتلقاه الفلسطيني في بلده والمعاناة التي يعانيها من طرف اليهود الذي قام بسلبه ممتلكاته وأرضه.

وهنا نجد أنّ دلالة المكان تتغير بعد ما كانت مصدر للرزق والعيش لتتحول إلى مكان للموت حيث يلقي الناس حتفهم فيه، وهذا ما نراه في قوله « لقد كان في هادار حيفا مطحنة كبيرة تقتل الناس في شوارع الكرمل دون حساب»².

في هذا المشهد، يصور لنا غسان كنفاني الظلم الذي يتلقاه الفلسطيني في بلده والمعاناة التي يعانيها من طرف اليهود، الذي قام بسلبه ممتلكاته.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين ، ص56.

² نفسه، ص57.

فنظرا لهذا الظلم الذي يتعرض إليه الفلسطيني، قرر قائد حامية حيفا وضع لهذا الوضع «لم يكن في حيفا كلها لغم كبير يكفي لنسف هذه المطحنة... ثم تيسر بما لا أعرف كيف، أن يذهب قائد حامية حيفا يومذاك حمد الحنيطي إلى سوريا وأن يرجع بلغم كبير»¹. نجد في هذا المشهد أنّ الشخصية يغامر بحياته من أجل الحصول على اللغم، فالسلاح عند الفلسطيني يعتبر الدم الذي يمد الثورة بالحياة ويعيد الأمل في العودة إلى الوطن.

وفي مشهد آخر يصور لنا القاص تضحية القائد من أجل وطنه والاستشهاد في سبيل الله، ويصف المشهد المأساوي « فاجأته قوة يهودية تريد أن تستولي على اللغم، وطلبت منه أن يستسلم ولكنه رفض ودافع دفاعا مجيدا مع رفاقة القلائل حتى تساقطوا من حوله واحدا إثر واحد... لقد وقف حميد ورفع يديه، وعندما اقترب اليهود ليمسكوه أطلق رصاصة واحدة على اللغم الكبير»².

يصور لنا غسان كنفاني العلاقة القوية التي تربط الفلسطيني بالوطن ومدى تعلقه به والتضحية بالنفس والنفيس من أجله.

فهنا تتحول دلالة المكان من الخوف والمعاناة إلى القوة والصمود المستمدّة من طرف قائد حامية حيفا، الذي ضحى بحياته من أجل الوطن بعد تفجير اللغم الكبير.

ينتقد غسان كنفاني المسؤولين ويوبّخهم عن عدم درايتهم بالأبطال الذين يقومون بالتضحية في سبيل الوطن دون أن يسمع صوتهم حتى يستشهدوا.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص57.

² نفسه، ص58.

وهذا ما نراه في قوله « إنّ المسؤولين لم يحافظوا على أبطالهم... ولم يكونوا على معرفة بأي أصول للمعارك... لقد استشهد القائد مع رفاقه»¹.

4-5- مصنع الريفانيري كفاح الفلسطيني بكل الوسائل :

هو مصنع كبير لتكرير النفط، يمثل مصدر الرزق لبعض العمال العرب واليهود يشتغلون فيه جنبا إلى جنب.

تدور الأحداث في هذا المكان حول اليهودي الذي ألقى بقنبلة على حارس عربي كان يقف على باب المصنع فقتله.

لقد شهد هذا المكان حزنا شديدا على فقدان الحارس العربي، وقد تحول هذا المصنع إلى مسرح للجريمة، وقد أثار غضب العمال العرب، فقام العمال بالرد عليهم بثتى الوسائل وهذا ما يتجلى في قول: « فأغلقتنا الباب الكبير للمصنع، ثم استعملنا في قتل الصهاينة جميع الوسائل، لقد تقابلنا يوم ذاك وجها لوجه، وكلانا مجرد من سلاحه، ولم يكن أي محل يتسع سوى للرجولة فقط.... واستطعنا أن نتغلب عليهم، لم يكن عندنا في الداخل سلاح من أي نوع، فاستعمل بعضنا التراكتور واستعمل أكثرنا الرفش والفأس ذات الرأسين الطويلين»².

عندما تسد كل أبواب السلاح في وجه الفلسطينيين نجدهم يلوذون بالفؤوس والرفوش وغير ذلك من الأدوات التي يستعملها الفلاحون في الزراعة، فالعمال يصطدمون بالعمال اليهود، بعد قتلهم للحارس العربي، وكان معظمهم جديد على هذا النوع من القتال.

يلمح كنفاني بأنّ السلاح لدى الفلسطينيين يشكل ضرورة لا غنى عنها، وأنّ الفلسطيني حيث يقف على أرضه الفلسطينية يستطيع أن يواجه عدوه بشجاعة، وينتصر

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص58.

² نفسه، ص59.

عليه، رغم بساطة السلاح، وإن كان استخدامه يحتاج إلى شجاعة أكبر، كما يحتاج إلى التحام مباشر مع العدو، فيحقق إحساساً قوياً بفعل القتل والقضاء على العدو، كما أنّ استخدام السلاح البسيط في مواجهة العدو له دلالة إيجابية، إذ باستطاعة كل إنسان الحصول عليه، وبالتالي ممارسة الفعل النضالي ضدّ الصهاينة.

يقدم كنفاني عبر هذا المشهد دلالات موحية، فالدم الذي ينزفه الشهيد يغذي جسم السلاح ليّمده بالحياة ويتوحد مع الشهيد.

فهنا تتحول دلالة المكان من مكان للعمل وكسب للرزق إلى مكان للمعركة وسفك الدماء.

ويرجع غسان كنفاني لينتقد المسؤولين ويسخر منهم ويوبّخهم ويقول: « إنّ المسؤولين لم يحافظوا على أبطالهم، ولم يكونوا على معرفة بأصول المعارك، أهملونا وشبهونا بالجزّارين، ولذلك هم لا يحتاجون إلينا».¹

يتأسف كنفاني من هذا الوضع الذي يعيشه الفلسطيني، وينتقد المسؤولين على عدم درايتهم بشعبهم، ومدّ يد العون لهم من أجل الكفاح في سبيل الوطن.

4-6- تل أبيب :

هي ثاني أكبر مدينة إسرائيلية أنشأها اليهود بعد أن سلبها من الفلسطينيين، وهي من أهم المدن العالمية. تدور الأحداث في هذا المكان عن محارب مهذب، كان سائق لسيارة عمومية، شاهد امرأة يهودية هاربة من أطفال كانوا يرمونها بالحجارة، فقام بمساعدتها وإرجاعها إلى أهلها، لكن اليهود سرقوا سيارته قتلوه ورموا بجثته.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص59.

يصور لنا غسان كنفاني حالة المحارب الفلسطيني والطريقة البشعة التي عومل بها من طرف اليهود بالرغم من أنه قام بعمل بطولي، إلا أنه لقي حتفه تحت أيدي اليهود.

يحاول الكاتب أن يبين لنا الصورة الحقيقية لليهودي، الذي لا يحمل في قلبه لا رحمة ولا شفقة، بالرغم من المعاملة الحسنة التي قابل بها المحارب الفلسطيني المرأة اليهودية.

يستاء غسان كنفاني من هذا الوضع الذي أصاب وطنه، ويرجع السبب في ذلك إلى القادة والرؤساء الذين يحكمون البلاد ويحملهم مسؤولية ضياع فلسطين، ويتجلى ذلك في قوله: « الخطأ لم يكن مني أنا، كان من فوق»¹.

في هذه القصة يصور لنا غسان كنفاني المعاملة السيئة التي يعامل بها الفلسطيني من طرف اليهود، والواقع المرير الذي يعيشه.

أوضح كنفاني عند ذكره لهذه الأمكنة وقائع تاريخية عينية بواسطة تقنية أدبية محضة، فعرض للأماكن التي جرى فيها الكفاح، ولمراحل الهجرة بالترتيب، ونتيجة لذلك حددت الأماكن طريق الطرد من الوطن، هذا الطريق الذي يصفه كنفاني في قصة ورقة من الطيرة.

4-7- حي الشجاعية ذكريات الطفولة :

من أكبر أحياء مدينة غزة، وفي هذه القصة يمثل هذا المكان المنشأ الذي ترعرع فيه الصديقان، وعاشا فيه حياة الطفولة، حيث فهم كل واحد منهما الآخر، إذ يقول: «لقد نشأ

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص 61.

معا، وكان واحدنا يفهم الآخر تمام الفهم، وتعاهدنا على الاستمرار معا إلى النهاية»¹. ففي هذا الحي كبرا وكبرت معهم أحلامهم، وأحس كل واحد منهما بالآخر.

يصور لنا غسان كنفاني العلاقة الوطيدة التي تجمع الصديقان معا، ومدى ارتباطهما

ببعضهما البعض، وماذا يمثل هذا الحي بالنسبة لهما.

4-8- الكويت بلد المنفى :

يمثل هذا المكان ملجأ الفلسطينيين ومأوى يأويهم، ومكان للرزق والخير والمال الذي لم يجده في وطنهم فلسطين، ويعتبر بلد المنفى والغربة والشعور باللامعنى، حياة فارغة من طموح وهدف سوى انتظار الراتب آخر الشهر.

وما أصعب أن يحيى الإنسان في مكان لا تربطه فيه سوى حفنة من المال في نهاية الشهر، ويصف السارد حياته في الكويت بقوله: « كانت حياتي دبة فارغة كمحارة صغيرة، ضياع في الوحدة الثقيلة ، وتنازع بطيء مع مستقبل غامض كأول الليل، وروتين عفن، ونضال مجوح مع الزمن، كل شيء كان لزجا حارا، كانت حياتي كلها زلقة، كانت كلها توقا إلى آخر الشهر»².

4-9- غزّة الوطن الأم :

يمثل هذا المكان البلد الأصلي للسارد، فقد عاد البطل من الكويت بعد أن أثر لهيب نيران الاحتلال في الوطن على بريق المال والذهب في الغربة.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص64.

² نفسه، ص65.

واللافت، أنّ غزّة قد شهدت تحولا دلاليا ووجدانيا، فقد بدت حينما وصل إليها البطل مكانا مغلقا محاصرا مقفرا، مكان يكاد لا يصلح للحياة الأدمية، وقد وصف السارد المشهد المأساوي في قوله: «وجدت غزّة كما تعهّدها تماما انغلاق كأنه غلاف داخلي، ملتف على نفسه لقوقعة صدئة قذفها الموج إلى الشاطئ الرملي الفرج قرب المسلخ، غزّة هذه أضيق من نفس نائم أصابه كابوس مريع، بأزقتها الضيقة ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر وبيوتها ذات المشارف النائئة... هذه غزّة»¹.

والسبب الذي دفع الكاتب إلى رسم هذه الصورة المكانية والقائمة والمأساوية لغزّة أنه كان عائدا من الكويت حيث الحضارة العمرانية بأبنيتها الشاهقة وبيوتها الفاخرة وشواطئها النظيفة الجذابة.

لقد أصبحت كومة الحجارة في حي الشجاعية رمزا للنكبة بدلا من دلالتها على الخراب والدمار، وأضحى الزقاق الضيق بداية مبشرة للعودة إلى فلسطين التاريخية، كما يتجلى في قول الكاتب "كانت غزّة، يا مصطفى جديدة كلّ الجدّة، أبدا لم نرها هكذا أنا وأنت «الحجارة المركومة على أول حي الشجاعية حيث كُنّا نسكن، كان لها معنى كأنما وضعت هناك لترشحه فقط، غزّة هذه التي عشنا فيها ومع رجالنا الطيبين سبع سنوات من النكبة كانت شيئا جديدا»².

في سياق هذا التحول المكاني.. تحول دلالة غزّة يحاول الكاتب أن يكشف عن السر الخفي الذي يكمن وراء ارتباط الإنسان بالوطن على الرغم من ويلات الاحتلال، فيطرح

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص66.

² نفسه، ص69.

الكاتب سؤال وجوديا في قوله «لكن ما هي هذه الأمور الغامضة، غير المحددة التي تجذب الإنسان لأهله، لبيته، لذكرياته، كما تجذب النبعة قطيعا ضالا من الوعول، لا أعرف!».¹

حقا ما الذي يجعلنا نتمسك بمكان مسكون بالموت والخوف والمعاناة؟ ونترك مكانا في المنفى مسكونا بالنعيم والمال الوفير؟

إنّ سبب التحول في دلالة المكان في غزّة يرتبط بالشعور بالكبرياء والكرامة والقوة والصمود المستمد من رؤية (نادية) التي بترت ساقها بعد قصف الاحتلال لبيت عائلتها، فهذه الطفلة التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة عشرة سنة تبدو أميرة ملهمة صامدة في سرير الشقاء، فقطع ساقها لم يؤثر في عزيמתها، فهي نموذج للتعالي.

10-4- المشفى التحدي و الصمود :

تدور الأحداث في هذا المكان حول مرض (نادية) بنت أخ البطل التي مرضت وذهب لزيارتها، لكن لم يكن يعرف ما هو مرضها بالضبط فيقول «كانت نادية مستلقية على فراشها وظهرها معتمد على مسند أبيض انتثر عليه شعرها كفروة ثمينة».² ويقول أنه بالرغم من أن (نادية) طفلة ذات ثلاثة عشر سنة، إلا أنها تبدو أكثر من ذلك بكثير، والذي جعلها تبدو كذلك هو تحمّلها الألم الشديد الذي تعانيه، فقد فقدت ساقها عندما أُلقت بنفسها فوق أخوتها الصغار تحميمهم من القنابل والهب، كان يمكن (لنادية) أن تنجوا بنفسها لكنها لم تفعل، لأن حب الوطن غرس في قلبها، فضحت بنفسها مقابل أرواح إخوتها.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة ثلاث أوراق من فلسطين، ص67.

² نفسه، ص66.

فبعد عودة البطل من زيارة (نادية) في المستشفى تتحول دلالة المكان، وتتغير دلالة الجغرافيا المكانية لغزّة، فبعدها كانت الصورة قائمة مأساوية تتحول إلى صورة مشرقة، ومن مكان مغلق ومحاصر إلى مكان فسيح يحمل بشرى العودة إلى مسقط الرأس.

5- تجليات المكان في قصة الأخضر والأحمر (النزال، جداول الدم، الموت للتد)

يتحدث كنفاني في هذه القصة عن طفل بطل ولد من موقع اصطدام جبهة الشهيد بالأرض، وعاش كالدودة جباناً تحت الأرض، فقد دعا كنفاني إلى مقاومة الموت ومهما كانت هذه المقاومة صغيرة حيث عبّر عنها من خلال الأسود الصغير الذي يولد في اللحظة نفسها التي يموت فيها الشهيد، فكان غسان ينتظر ولادة الأمل من أعماق الهزيمة، فكنفاني في هذه القصة لم يسمي شخصياتها، بل اكتفى بالرمز إليها وهذا ما نلمسه في بعض نصوص هذه القصة «كان ماضياً إلى الزوج والولد».¹ كما نجد شخصية «الطفل الصغير انبثق من الجبين بعد أن أنضج التراب».² حيث رمز إلى هذا الطفل بالأسود الصغير، وهذا ما يتجلى في النص التالي: «مرت سنوات وأنت تحت الأقدام، أيها الأسود الصغير».³

انصرف كنفاني كثيراً إلى الرمزية، ويدعمنا إلى ذلك عنوان القصة، فالأحمر هو الدم والعرق والتعب اللذان يجب على الإنسان إنفاقهما من أجل الحصول على الأخضر الذي يمثل الأمل، فالرمز في هذه القصة هو الذي يسيطر وليس الأمكنة، وهذا لا يعني أنه لم يذكر أماكن الحدث، بل أشار إلى ثلاث أماكن وهي ضمن الأماكن المفتوحة.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأخضر والأحمر، ص73.

² نفسه، ص76.

³ نفسه، ص79.

5-1- الطريق رمز الحياة الشاقة للفلسطيني :

في قصة الأخضر والأحمر، تتكرر هذه الأماكن باستمرار كإلزامية موسيقية، إلا أنها غير محددة فالمنعطف هو مجهول القدر الذي يترصد بمن يتابع طريقه المعتم في التراب، فهذا المنعطف لا يمكن تفاديه لأنه المعلم الموجود، فهو المكان الذي ترمنه الشخصية، وهذا ما جاء عليه القاص في هذا النص « إلا أنه لا بد أن يمر من ذلك المنعطف ولمدة لحظة واحدة، فقط أحس رجفة الترقب الرهيب فبطأ خطواته هنيهة وأصاخ السمع»¹. ثم واصل «الموت الذي ذبح أباه بأظافره عند منعطف أيار»². فقد جعل كنفاني أحداث هذه القصة تجري في الطريق عند المنعطف، فهنا يشير إلى أهمية المكان لدى الفلسطيني، بغض النظر عن كونه، ومن الناحية الثانية نجد أن التراب هنا ليس مطابقاً مع التربة الجميلة الناعمة التي تكون في الربيع، بل هي حارة وجافة، فقد أجبر كنفاني في هذه القصة الشخصية أن تعيش عليه وتتغذى منه وهذا ما نلمسه في هذا النص «أهو قدرك أيها الأسود الصغير أن تعيش في التراب وتتنفس في الظلام وتلاحق بجداول الدم، أهو قدرك أيها الصغير أن تأكل تراباً وتتنفس وتشرب عصير التراب»³.

نجد كلمة التراب تكررت عدة مرات، وتمكن دلالتها في تعيناتها المختلفة، كأن كنفاني يريد أن يختزل الوضع الصعب الذي يمرّ به الفلسطيني في هذه الكلمة، فهذا التراب ليس بالتربة العادية، إنما تلك التي امتلأت بدماء الشهداء.

كما نجد أن كنفاني في هذه القصة يدعو إلى المقاومة، وهذا ما يتجلى في النص

التالي: «يا عين الشهيد لا تمت قبل أن تكون ندا لا تمت»⁴.

1 غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة الأخضر والأحمر، ص74.

2 نفسه، ص80.

3 نفسه، ص89.

4 نفسه، ص81.

كنفاني في هذه القصة يدعو إلى مقاومة الاحتلال الصهيوني، لكن عليه أن يتخذ السلاح وسيلة للمواجهة ليحارب، وأن لا يدفع دمائه سدى كاللذين من قبله.

قال الله تعالى: «لَا تُلْقُوا بِأَنْفُسِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»¹.

6- تجليات المكان في قصة أرض البرتقال الحزين :

قصة أرض البرتقال الحزين التي أخذت عنوان المجموعة، وتعد العمود الفقري لهذه المجموعة، حيث كانت ملتحمة بسيرة غسان كنفاني، لكنها في نفس الوقت تؤرخ لمعاناة الفلسطيني التي رسمها بكلماته، وجزء هذه المعاناة جاءت مرتبطة بالذاكرة، كأن الفلسطيني لا يستطيع أن يتحرر من ذاكرته في لحظات الذهول أمام هذه المأساة.

فالصورة الجمالية لهذه القصة هي البرتقالة الجافة، التي تصور حياة عائلة فلسطينية في المنفى وحيدة في عالم لا رحمة فيه، مثل البرتقالة التي نزلت منها غصنها، فتجد كنفاني ربط هذه البرتقالة بتلك العائلة ليبين لنا مدى تمسك الإنسان الفلسطيني بالوطن، وهذا ما يتبين لنا في بعض نصوص هذه القصة، « ونزل أبوك من جانب السائق ومدّ كفه، فحمل برتقالة منها، أخذ ينظر إليها بصمت ثم انفجر يبكي»².

فصورة الفلسطيني واضحة في هذا النص، صورة الحزن والفراق وأصلا « كانت تلمع في عين أبيك كل أشجار البرتقال التي تركها لليهود»³.

تعتبر هذه البرتقالة عند كنفاني رمزا للشخصية الفلسطينية، كما توضح علاقة المكان الفلسطيني بالمنفى الذي يعيد صناعة المكان الغائب بالذاكرة.

¹ سورة البقرة، الآية 195.

² غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص85.

³ نفسه، ص85.

أمّا ما يخص الجانب المكاني في القصة، فقد اعتمد كنفاني على أمكنة معروفة، فهي أماكن واقعية وليست خيالية، ويعد كنفاني من الذين « عرفوا معنى الوطن الروائي وميّزوا بينه وبين الوطن السياسي، وهذا ما مكّنهم من معالجة مسألة التهجير والمعاناة والتشرد ببعدها الإنساني الصارخ، وجسّدوا فقدان الإنسان للوطن».¹

كما نجد في هذه القصة أرض البرتقال الحزين تنوع للأمكنة ما بين المفتوحة والمغلقة، ومن هذه الأماكن نجد:

6-1- المدينة (يافا وعكا و فلسطين و صيدا و لبنان) الوطن والمنفى:

المدينة تعدّ نموذجاً للمكان المفتوح، «إذ هي ظاهرة حضارية بالإضافة إلى كونها ظاهرة مكانية واجتماعية، فهي ليست مظهر من مظاهر الحياة والاستقرار فقط، بل تبدو واقعا اجتماعيا له خصائصه وسماته المرتبطة بالتحضر، وما يتبع ذلك من علاقات، لأنها ليست مجرد جزء من أجزاء المجتمع بل هي المكان الذي استوعب اختلاط الشعوب والأجناس وامتزاج ثقافتهم».²

انطلاقاً من المدن التي ذكرناها سابقاً، يتضح لنا أن كنفاني اعتمد على الثنائية الضدية (الوطن والمنفى)، وإذا كان تقديم الأمكنة في قصة أرض البرتقال الحزين يأتي مرتبطاً بتقديم الشخصيات، فإن هذه الأخيرة لا تخضع كلياً للمكان، بل على العكس، المكان هو الذي يساعدنا على فهم الشخصيات. « وفي البعد عن أرض البرتقال أخذت أنا الآخر أبكي بنشيج حاد».³

¹ عالية أنور أحمد الصدي، شعرية في روايات يحيي خلف، ص28.

² نفسه، ص29.

³ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص85.

أرض البرتقال التي تمثل فلسطين الذي سيعتبر منطلق أحداث هذه القصة، المكان الذي صار مجرد ذكرى مؤلمة، حيث ضاعت السعادة عند هذه العائلة بضياع الوطن.

وباعتبار أنّ الوطن فلسطين من المجالات المكانية الكبرى، إلا أنّ كنفاني في قصته هذه قادنا إلى أماكن أخرى أقلّ انفتاحاً، وذلك ليبين ماهية الأمكنة الصغرى والمجالات الكبرى (الوطن والمدينة)، وجاء في قول كنفاني «عندما خرجنا من يافا إلى عكا لم يكن في ذلك أية مأساة... كنا كمن يخرج كل عام ليمضي أيام العيد في مدينة غير مدينته»¹. هنا يشير كنفاني إلى وجود المنفى داخل الوطن، فتظل الشخصية الفلسطينية ترحالها وصراعها الدائم مع الحياة، فلعل أقسى ما يعانيه الإنسان حينما يضيع منه الأمن والاستقرار، وجاء في نص آخر «ففي ليلة الهجوم الكبير على عكا بدأت تتوضح الصورة أكثر فأكثر... ومضت تلك الليلة القاسية»². فدلالات هذه الليلة دلالات سلبية تصب جميعها في المعاني السلبية، فكانت تعني القسوة والموت والتشرد.

كما نجد مدن غير المدن الفلسطينية، وهي المدن التي لجأ إليها الشعب الفلسطيني، ومنها نجد مدينة حيدا.

6-2- صيدا: المنفى

هي مدينة لبنانية، ولبنان من البلدان الأكثر التي لجأ إليها الشعب الفلسطيني، وهذا ما جاء عليه النص التالي: «ورأيت صفّ السيّارات الكبيرة يدخل إلى لبنان طاويا معارج طرقاتها ممعنا في البعد عن أرض البرتقال»³.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص 83.

² نفسه، ص 83.

³ نفسه، ص 85.

يشير كنفاني هنا إلى أنّ الفلسطيني دائم التفكير بأرضه (فلسطين)، فهي ترحل معه إلى أي مكان يرحل إليه، فهو دائم الالتصاق بأرضه، ولعل قلق الاستقرار هذا يحمل أيضا قلق الوجود في نفوس الفلسطيني «وعندما وصلنا حيدا في العصر صرنا لاجئين»¹.

ولعلّ اختيارهم لبنان كمكان للجوء، كونها قريبة من وطنهم وربما الدافع الأساسي لهذا الاختيار هو أملهم بأن الجيوش العربية لن تتردد في تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، وبالتالي تعيدهم إلى ديارهم ووطنهم. «فاشهد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين»². فالشعب الفلسطيني ينتظر النصر وتحقيق حلم العودة، ووضع حدّ للمعاناة والحياة البائسة التي يعيشها مشتتا في البلدان الأخرى، وهذا ما نلمسه في هذا النص «كان واقفا أمام الشارع، أمام الأمتعة الملقاة على الطريق، وكنت أتخيل تماما أنني إن سعيت إليه لأقول شيئا سينفجر في وجهي»³.

هذا النص يبيّن لنا مدى معاناة هذه العائلة الفلسطينية، وهي مشرّدة في الطرق لا مكان لها. «كانت تلقي الرعب في قلبي مجرد أن أفكر في أنني سأقضي الليل على الرصيف، لكنه خوف قاس وجاف، لم يكن أحد على استعداد لأن يشفق عليّ... لم أكن أستطيع أن أجد بشرا ألتجئ إليه»⁴.

عاش الشعب الفلسطيني حالة من الفقد والحزن والأسى، الذي يرافقه أينما ذهب، فكيف يمكنه أن يعيش في وطن ما، ووطنه منبوز فيه، فالفلسطيني أينما ذهب يبقى المكان مشكلة لديه.

1 غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص85.

2 نفسه، ص86.

3 نفسه، ص86.

4 نفسه، ص87.

3-6- الشارع و ضياع الإنسان الفلسطيني :

«يمثل الشارع في الأدب مثلما يمثل في الحياة رمزا للانفتاح والتواصل، له أبعاد متعددة، ويحمل مضامين مختلفة لأنه يرتبط بحياة الناس وتجاربهم وعلاقاتهم، فيحمل نبض الإنسان و أجاعه حين يهرب إليه عندما تضيق به الأماكن الأخرى»¹. والشارع من أماكن الانتقال التي تمرّ عبرها الشخصية، «فهو مكان لذهابها وإيابها...فهو حلقة وصل بين الأماكن المختلفة، وهذا لا يعني أنه لا يستحق الدراسة، لكنه يعدّ مكانا مهما في الحياة»².

وقد تجلّى الشارع في قصة (أرض البرتقال الحزين) بصورة مميّزة، حيث استقطب عائلة فلسطينية، وأصبح مكان لجوئها، وهذا ما نلمحه في النص التالي « كان واقفا أمام الشارع أمام الأمتعة الملقاة على الطرق»³. من هذا يبيّن لنا ضياع الإنسان الفلسطيني، وما تعرّض إليه في شوارع لبنان، «وأنا نحن اللاجئين البشر القاعدين على الرصيف منتظرين قدرا جديدا يحمل حلما ما عن إيجاد سقف نقضي الليل تحته»⁴.

فهذا الشارع شاهد على شتات الفلسطيني وعلى تشرّده، لكن هذا التشرّد يحمل نوعا من الأمل، فكنفاني صوّر هنا معاناة الإنسان الفلسطيني في الشتات، كما بيّن لنا أن هذا الإنسان مفعم بالأمل والصمود، إذن فالدلالة هنا تكمن في عدم استسلام الفلسطيني وتحليه بالشجاعة والقوة للاستمرار.

«والجميع صامتون يحدقون في الطريق الأسود، طامعين أن يبدو القدر وراء المنعطف موزعا حلولا لمشاكلنا»⁵. اعتمد كنفاني كثيرا في هذه القصة على الرمز،

¹ عالية أنور أحمد الصفدي ، شعرية الأمكنة في روايات يحيى خلف، ص72.

² نفسه ، ص72.

³ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص86.

⁴ نفسه، ص86.

⁵ نفسه، ص87.

فالأسود يمثل الليل، وذلك الصمت هو الخوف والحزن الذي تمالك نفسية الشخصية، فكنفاني بين لنا الظروف التفصيلية التي يعيشها الإنسان الفلسطيني تحت وطأة الشعور السالف بالغرابة، « لم يكن عمّك يؤمن كثيرا بالأخلاق ولكنه عندما وجد نفسه على الرصيف مثلنا لم يعد يؤمن إطلاقاً»¹.

في هذا النص أشار كنفاني إلى ضعف الشخصية وضعف إيمانها، حيث رأى أن لا مكان للأخلاق، أي أنّ الفلسطيني يجب أن يحمل لواء المسؤولية على عاتقهم، ولا ينتظر مساعدة من غيره. فالفكرة التي يريد كنفاني إيصالها، هو صمت العرب وخيبة أمله فيهم.

ومن الأماكن المغلقة التي نبتت عليها هذه القصة:

4-6- البيت والذاكرة :

يعتبر البيت من الأماكن المغلقة « للعيش والسكن، يقضي فيه الإنسان فترات زمنية طويلة فهو مأوى اختياري، وضرورة اجتماعية، يمنح الألفة والأمان، فيه ينشد الإنسان الراحة والسكينة، وفيه تتشكل الشخصية في مراحلها الأولى، ولا يلبث هذا البيت أن يشغل حيزاً مهماً في ذاكرته لأنه يمنحه الشعور بالطمأنينة والحماية من الخارج، ويمارس فيه حياته الطبيعية بحرية»².

أمّا البيت في قصة أرض البرتقال الحزين، لم يقف عليه القاص كثيراً، ولم يأبه إلى وصفه من الداخل أو من الخارج، لأن مكان البيت عند الفلسطيني هو الذاكرة، فهو كالسحفاة التي تحمل بيئتها معها أينما تسير، وهذا البيت لم يكن جدراناً وسقوفاً، بل كان أحلاماً.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين ، ص87.

² عالية أنور أحمد الصفدي، شعربة الأمكنة في روايات يحيى خلف، ص85.

فالبيت هنا يشكل رمزا للمعاناة وللمكان غيرالمستقر، عندما غادر الفلسطينيون منازلهم على أمل العودة إليها في أقرب وقت، لكن الانتظار يطول دون أن تتحقق العودة ليتحوّل هذا الأمل إلى كابوس من الانتظار المرّ، وهذا ما تجلّى في النص التالي: «بدأ والدك يجد صعوبة هائلة في التحدث عن فلسطين، وفي التكلم عن الماضي السعيد في سيارته»¹. فالبيت الفلسطيني أصبح مجرد أحلام وهذا ما جاء عليه غاستون باشلار «واحد من أهم العوامل التي تندمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتنا»².

كما ربط كنفاني هذا البيت بالطفولة «وعندما كنت أبتعد عن الدار كنت أبتعد عن طفولتي في الوقت ذاته»³. هنا الكاتب يسترجع الذكريات والزمن الماضي، والحنين الذي شعر به كلما تذكر ابتعاده عن البيت.

كما نرى صورة البيت في هذا النص يرجع بإشراقه جديدة حين قال: «وهناك قعد أبوك على الشرفة الصخرية العالية يبتسم لأول مرة... وينتظر يوم الخامس عشر من أيار كي يعود في أعقاب الجيوش العربية»⁴. هذا النص يحمل ولادة جديدة وأمل جديد للعودة إلى أرض فلسطين، هنا نجد أنّ كنفاني ربط الزمان بالمكان لأنّ في كل زمن يتحرك يتحرّك فيه شخص ما في مكان ما.

أمّا النص التالي يعكس ذلك «بعدما مضت الأمور ببطء شديد لقد خدعتنا البلاغات ثمّ خدعتنا الحقيقة بكل مرارتها وأخذ الوجوم يعود إلى الوجوه من جديد»⁵. ليشعر من جديد بتلك الخيبة التي لا تريد أن تفارق وجوه الفلسطينيين. اعتمد كنفاني في هذه النصوص على

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص95.

² غاستون باشلار، جماليات المكان، ص38.

³ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص91.

⁴ نفسه، ص88.

⁵ نفسه، ص87.

الثنائية الضدية (الأمل والخيبة)، والأمل هو ذلك الذي أشرق في نفوس الفلسطينيين، والخبية تلك التي ربطها بالدول العربية وصمتها في ظل الاحتلال الصهيوني على فلسطين.

6-5- الغرفة رمز الضيق الداخلي و الخارجي :

الغرفة هو مكان للخصوصية، لكن في قصة (أرض البرتقال الحزين) تحمل دلالة أخرى « لقد قادنا عمك إلى غرفته تلك وكدّسها فيها مع أمتعته وأهله، وفي الليل نمنا على الأرض فامتألت أجسادنا الصغيرة والتحفنا بمعاطف الرجال». ¹ هذه الغرفة تحمل دلالة الضيق والاختناق، وفي نص آخر « لم نسكن في صيدا كثيرا، فغرفة عمك لم تكن تتسع لنصفنا، ورغم ذلك فقد احتوينا ثلاث ليال». ²

فالقاص يقدم صورة عن غرفة ضيقة لا تتسع لكثير من الناس، فهذا يحمل مقصدا فحتى الغرفة شاهدة على معاناة هؤلاء الناس إضافة إلى الضيق الداخلي الذي أصابهم نجد ضيق المكان من جهة أخرى.

فقد عمد كنفاني على نقل مشاهد مكانية حقيقية ذات تصور داخلي وخارجي وفق زاوية نظر واقعية بعيدة كل البعد عن الإيحاء والمجاز، لأن كنفاني نقل صورة عن حالة من حالات الإنسان الفلسطيني المستعصية.

6-6- المدرسة بين الدين والإنسانية:

تعدّ المدرسة البيت الثاني للمتعلم بعد الأسرة والمنزل، كما تعدّ أيضا من أهم مؤسسات المجتمع التي تقوم بأدوار عديدة في مجال التربية، وهي شاملة لكافة الجوانب، فلا

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين ، ص88.

² نفسه، ص87.

يقتصر دورها عن إكسابهم المهارات المختلفة بصورة وظيفية لكي تعينهم على التكيف مع مجتمعهم ومتطلباته المتغيرة.

أمّا المدرسة التي ذكرها كنفاني في قصة أرض البرتقال الحزين، هي مدرسة دينية، وهي نوع من المدارس التي تركز على الموضوعات الدينية فقط، ودلالاتها تختلف في هذه القصة وذلك ما جاء في هذا النص « بل إنني الطفل الذي نشأ في مدرسة دينية متعصبة كنت ساعة ذاك أشك في أنّ هذا الله يسمع كل شيء ويرى كل شيء»¹.

نرى في هذا النص تحول في دلالة المدرسة من حالة دينية وعقائدية إلى ضعف الإيمان، أو ما يمكن تسميته بالاغتراب الديني الذي ينتاب الشخصية حين لا يقدم لها إيمانها ثم ترفض القيم الدينية ولا تؤمن بها.

وجاء في نص آخر « إنّ الصور الملونة كانت تتوزع علينا في كنيسة المدرسة والتي كانت تمثل الرب يشفق على الأطفال ويبتسم ففي وجوههم بدت هذه الصورة كأنما هي الأخرى أكذوبة من أكاذيب الذين يفتحون مدارس محافظة كي يقبضوا أقساطا أكثر»²

في هذا النص تتحول دلالة المدرسة إلى مكان لكسب المال وإدارة الأرباح، لا لتعليم الأخلاق الإنسانية لأنّ الطفل الذي يمثل البراءة يعاني في حياته ويحمل ما لا طاقة له أي غياب الإنسانية، وحتى الله في نظره صار منفيًا بعد أن أضاعه خلال الرحيل كأنّ هذا الله الموجود في فلسطين ضاع هو الآخر «لم أعد أشك في أنّ الله الذي عرفناه في فلسطين قد خرج منها هو الآخر وأنه لاجئ حيث لا أدري غير قادر على حل مشاكل نفسه»³. يطرح كنفاني في هذه النصوص قضية انفصال الإنسان بالدين.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص86.

² نفسه، ص86.

³ نفسه، ص86.

6-7- السيارة ترحال الإنسان الفلسطيني:

السيارة من وسائل النقل التي ابتكرها الإنسان لأجل خدمته في التنقل من مكان إلى آخر، حيث أصبحت شيء مهم في الحياة اليومية، فبدون السيارة لن يستطيع أي إنسان على وجه الأرض التنقل من مكان لآخر في فترة زمنية قصيرة.

فبعدما تطرقنا للأماكن الثابتة في قصة أرض البرتقال الحزين، فإننا نجد أنّ السيارة من السير تحمل دلالة متناقضة لسابقتها هي الحركة، ومن المواضيع التي ذكر فيها كنفاني السيارة نجد « كانت السيارة شحن كبير تقف في باب دارنا»¹.

في هذا النص مثلاً نجد أنّ السيارة لحمل الأغراض بقوله شحن كبير.

وجاء في نص آخر « في سقف غرفة السائق حيث وجدت أنني رياض جالساً بهدوء وقبل أن أثبت نفسي في وضع ملائم كانت السيارة قد تحركت»². في هذا النص أشار كنفاني إلى سرعة الانتقال، وربما هذه السرعة تعكس سوء ذلك المكان ورغبة تلك العائلة في تركه والرحيل منه.

وأصلاً في حكيه «وكنت أنا جالساً بصمت واضعاً ذقني بين ركبتي طأوياً فوقهما ذراعي وحقول البرتقال تتوالى على الطريق وشعور بالخوف يتأكلنا جميعاً والسيارة تصعد لاهثة فوق التراب الندي وطلقات بعيدة كأنها تحتية الوداع»³.

فدلالة هذا السير السريع يدل على إيقاع أحداث معينة تجري في وقت السير كما تدل على خلاص هموم معينة، وفي هذه القصة ترك أرض البرتقال التي اغتصبها الاحتلال

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص 84.

² نفسه، ص 84.

³ نفسه، ص 84.

الصهيوني، فالشخصية اتخذت السيارة، بحثاً في مكان تلتجئ إليه» ورأيت صف السيارات الكبيرة يدخل إلى لبنان»¹.

7- تجليات المكان في قصة قتل الموصل:

تدور أحداث القصة حول طالب عربي عاش في العراق إبان تلك الحقبة الزمنية حقبة التغيير العراقي، حيث هجر العراق الملكية وأصبح في معسكر الجمهوريات المستقلة، وبدأت الحياة تسري في جسده، وصور حياة هذا الطالب الذي قال عنه أردنيا، ثم وصفه بعد حين بأنه من اللد، وفي نهاية القصة تم قتل هذا الفلسطيني من قبل الجراد والصراصير لكونه فلسطيني.

في قصة قتل في الموصل يوضح كنفاني بشكل أدق تسلسل الأحداث التاريخية إذ يلفت الكاتب انتباهنا في مقدمته عندما يقول إنه كتب القصة سنة 1959م ليهدئها إلى صديقه الذي ذهب إلى الموصل وانقطعت أخباره ولكنه لم ينشرها لأن قصة صديقه لم تنته في نظره وقد أراد كنفاني أن يكون إهداؤه كالتالي: «إلى صديقي (م) وقبره يغتسل بالشمس الحقيقية»². فكان عليه أن ينتظر حتى 1963.

ويبيد الكاتب هنا دقة في إتباع التسلسل التاريخي أولاً لأنه ينيو الحفاظ على تاريخ فلسطيني، وثانياً لأنه انتظر أن يصبح صديقه (م) ثورياً ويكشف حقيقة قضيته القبر يغتسل بالشمس الحقيقية.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة أرض البرتقال الحزين، ص85.

² غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة قتل في الموصل، ص93.

7-1- الفندق مكان الإختباء :

هومسكن يسكن فيه الشخص لوقت قصير مقابل أجر يكون مزود بأجهزة منزلية ووسائل راحة، فهو يلبي احتياجات المسافرين في العديد من البلدان.

تدور أحداث هذا المكان حول معروف الذي وصل من سفره متعبا واتخذ الفندق مكانا للراحة، لكنه أحس بان شيئا ما سيحدث، ويتجلى ذلك في قوله « لسوف يحدث شيء خطير... إنهم يحشدون أنفسهم كالديدان، ينحشرون في الفنادق كما لو أنهم تداعوا لحشر أرضي، خرجوا من كل ثقبهم وجأؤوا إلى بغداد... لماذا؟ أيمكن أن تكون المؤامرة؟»¹.

في هذا المشهد يصور لنا كنفاني حالة الطالب الذي أحس بأنه سوف تحصل مؤامرة أو مكيدة، وقد وصف اليهود بالجراد والصراصير الذين يحومون في كل مكان.

لقد تحولت حياة الفلسطيني إلى سفر وترحال طلب للرزق أو العلم، فمعروف طالب جامعي في جامعة بغداد هرب من فلسطين بحثا عن مكان آمن يأويه لكنه لم يلق ذلك حتى في بلد المنفى.

تتحول دلالة المكان من مكان تتوفر فيه جميع وسائل الراحة إلى مكان للخوف والقلق من الصراصير الذين يحومون حول الفندق.

فالبطل اتخذ هذا المكان ليرتاح فيه، لكن اليهود لم يتركوه على حاله فأدخلوا على قلبه الخوف والفرع.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة قتيل في الموصل، ص102.

7-2- بغداد مكان اللجوء :

هي عاصمة ثاني أكبر مدينة في الوطن العربي، وتعد المدينة المركز الاقتصادي والتعليمي في الدولة وتعتبر كذلك مكان عيش للاجئين الفلسطينيين.

يعتبر هذا المكان البلد الذي يعيش فيه، لكنه لم يكن مرتاحا فيه فقد كان مجبرا على العيش فيه، فأراد أن يخطو نحو اللد والعودة إلى وطنه الأصلي، لكن الأوضاع التي كانت تعيشها بغداد قطعت في صدره كل أمل بان يعود إلى بلده، ففي هذا المكان اندلعت حرب، وهذا ما يتجلى في قوله: « الديدان خرجت من بطن الأرض وأصبح يشعر بأن الأيدي الكثيرة بدأت تجره بعيدا عن طريق العودة»¹.

لقد انتاب معروف يأس كبير في العودة إلى الوطن نظرا للأوضاع السيئة التي تجول البلاد، ولم يكن بوسعها فعل شيء غير الاستسلام للواقع المر.

يصور لنا غسان كنفاني حالة اللاجئ الفلسطيني والحياة الصعبة التي يعيشها في بلد الغربة والمصاعب التي تواجهه، فبعدها كان المكان يدل على الحرية والعيش في سعادة في نظر اللاجئ الفلسطيني تحول فجأة إلى سجن مغلق تنعدم فيه الحياة ومكان محاصر من طرف اليهود.

7-3- الموصل مسرح للجريمة :

توجد في العراق، وهي من المدن التي سافر إليها البطل في هذه القصة تدور الأحداث في هذا المكان حول (معروف) الذي انتقل من بغداد إلى الموصل آملا في الرجوع

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة قتيل في الموصل، ص103.

إلى بلده فلسطين، لكنه لم يحدث كما توقع فالاحتلال الصهيوني يلاحقه أينما ذهب وأينما كان.

وهذا النص دال على ذلك « لقد وصلوا إلى هنا وعلينا أن نقف في طريقهم...أرأيت الصراصير كيف تتحكم بمصير أخيل؟ إنها تلدغه في كعب قدمه وهو لا يموت إلا من هناك... إن الصراصير وحدها قادرة على قتل أخيل يا للسخافة!».¹

من خلال هذا النص نجد أن كنفاني ربط الثورة الفلسطينية بالثورة العراقية، ففي القصة يهرب البطل من اللد وينتهي به المقام، حيث يلقي حتفه، وبالطبع يمكن لمثله أن ينطبق على كلية الدياسبورا التي تعيش في وسط عربي.

فهنا نجد ان كنفاني مزج القضية الفلسطينية وهمومها بالواقع العربي في شكل أدبي رفيع. كما نجد في نص آخر:

«وفي الليلة التالية، حدثت الفاجعة، وقال معروف لصديقه وعيونه تدمع

مات أخيل وعادت الصراصير

وماذا بؤدك أن تضع؟

سوف أبقى هنا.

إلى متى؟

إلى الأبد... أبدو لك الأبد بعيداً؟»².

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة قتيل في الموصل، ص104.

² نفسه، ص105.

هذا الحوار يبيّن لنا استسلام الشخصية، حيث رأى أنّه أينما ذهب الموت يرافقه، فلم يأبه أن يموت في مدينة الموصل، وهذا ما يتجلى في قول كنفاني « لقد رفض (معروف) أن يهرب وأصر على أن يبقى هناك حتى تمتص الصراصير آخر خفقة ريح في المدينة»¹.

من هذا يتبين لنا أنّ البطل رضخ للواقع المرير الذي فرضه الاحتلال الغدير عليه، وتيقن أنه عاجلاً أم آجلاً سيموت على يد هذه الصراصير (الاحتلال الصهيوني)، « سار قليلاً قبل أن يصوب الرشاش إلى ظهره، ثمّ تدوي الطلقات المتتابعة ويسقط معروف على ركبتيه ورأسه بين كفيّه، ثمّ تعجز ركبته فيهبوي على وجهه...»²

8- تجليات المكان في قصة " لاشيء "

تمثل القصة الخيرة في مجموعة أرض البرتقال الحزين، وتدور أحداث هذه القصة حول جندي ثوري، أطلق المار على عدوّه على الحدود فاتهم بالجنون الانهيار العصبي رغم أنه كان مدركاً بكل حواسه لإرادته المطلقة لذلك الفعل.

وفي هذه القصة نجد أن كنفاني أعطى كل الأهمية للشخصية، أمّا ما يخص المكان فقد اكتفى بذكر مستشفى أخذ إليه ذلك الجندي.

8-1- المستشفى :

فالمستشفى هو «مكان يحمل دلالة المرض والمعاناة وفي الوقت نفسه يطلب فيه العلاج أملاً في الشفاء»³.

¹ غسان كنفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة قتيل في الموصل، ص105.

² نفسه، ص106.

³ عالية أنور أحمد الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى خلف، ص113.

أما في هذه القصة لا شيء فهم يفتنون جنديا إلى مستشفى المجانين دون تحديد مكان وجوده ولا حتى اسمه، وهذا المستشفى أيا كان هو في الوقت نفسه المستشفى بمعناه العام حيث يعالج المرضى، فكفاني يسحب منه خفية كل أهميته بالنسبة للدور الذي يلعبه في القصة، وحسب العنوان الذي تحمله القصة، وحسب العنوان الذي تحمله قصة لا شيء

يمكننا القول أن هذا المكان افتراضي، لأنه لا يؤثر على مجرى الأحداث، وذكر المستشفى فقط في موضعين عندما « أقتيد إلى مستشفى الأمراض العقلية»¹.

ثم « نقله بسيارة الجيش إلى المستشفى»². وقولنا على هذا المكان افتراضي لأنه لا شيء يحدث فيه، ولم يستخدم إلا حجة لجعل الشخصية تتكلم، وما يهم كفاني في هذه القصة ليس عنصر المكان بل هدفه الأساسي هو الشخصية والنصوص التالية هي الدالة على ذلك.

«كانت تلك هي المرة الأولى التي تسمع فيها هذا الاصطلاح انهيار عصبي وسأل الممرض فيما كان يقتاده إلى الخارج ماذا يعني انهيار عصبي؟»³.

«أجاب الممرض بجفاء: يعني أنك لست على ما يرام»⁴.

الجندي: «إلى أين ستأخذني الآن؟»⁵.

أجابه الممرض « عليك أن تقابل الرئيس»⁶.

1 غسان كفاني، المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين، قصة لاشيء، ص 109.

2 نفسه، ص 114.

3 نفسه، ص 109.

4 نفسه، ص 109.

5 نفسه، ص 110.

6 نفسه، ص 112.

نرى أنّ الكاتب في قصة لاشيء اعتمد على السرد الحكائي بين شخصين الجندي والمرضى، كما رسم القاص لكلا الشخصين شكلاً، ومنحها وظيفتها، ومن خلال هذه الوظيفة تشكل المكان في هذه القصة.

و في الأخير نشير إلى ما سبق من دلالات الأماكن الموجودة في المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني في هذا الجدول:

| القصة | المكان | دلالة الأمكنة |
|----------------------|---------------|--|
| أبعد من الحدود | البيت | نجد البيت في القصة يحمل مجموعة من الدلالات هي: الألفة، الحزن، الحنان، الحب، الأسي. |
| | أماكن اللجوء | الألم، الرحيل، البعد، شتات الجسد و الروح، الظلم، الضيق و التشاؤم. |
| الأفق وراء البوابة | الفندق | الترحال الدائم للفلسطيني. |
| | الغرفة | الظلام، العزلة، التفكير والتركيز، الحزن والأسى والحسرة. |
| | بوابة مندلبوم | صورة درامية واقعية تحاكي المأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني، مكان الالتقاء وحلقة وصل بين الشخصيات تمثل رمز الانكسار الداخلي و الذاكرة المكسورة. |
| السلح المحرم | القرية | ساحة للحدث، الاحتلال، الثورة والشجاعة. |
| | البيت | الخوف، الرعب، القلق، انعدام الأماكن و التوتر. |
| ثلاث أوراق من فلسطين | الشارع | الظلم، فقدان الحرية، العنف، الحزن و الألم، الجريمة والموت |
| | الدكان | تحمل دلالة المكان هنا رمز الثورة الفلسطينية، السلاح، الشجاعة و الصمود، التضحية و العزيمة. |

| | | |
|--|----------------------------------|----------------------|
| تحمل دلالة الحماس، الشجاعة، التضحية، الحرية و الانتصار. | ميكور حاييم | ثلاث أوراق من فلسطين |
| المكان يحمل دلالة الظلم، المعاناة، القتل و الموت، الاستشهاد والتضحية في سبيل الوطن. | مطحنة حيفا و مصنع الريفانييري | |
| ذكريات الطفولة و البراءة. | حي الشجاعية | |
| الملجأ و المأوى، الضياع و الوحدة، الغموض و الروتين | الكويت | |
| يحمل هذا المكان دلالة التحدي و الصمود و الأمل. | المشفى | |
| التعب و الشقاء و الدماء. | الطريق | الأخضر و الأحمر |

| | | |
|------------------------|--|---------------------|
| المدينة(فلسطين، لبنان) | البعد و الضياع و الألم، القسوة و الموت و التشرد والقلق، البؤس و التشتت والرعب، الحزن و الأسى والغربة | أرض البرتقال الحزين |
| الشارع | الضياع، التشرد و التشتت والمعاناة بالإضافة إلى الأمل و الصمود و عدم الاستسلام. | |
| البيت | عدم الاستقرار، الانتظار، الأحلام و الحنين و الأمل | |
| المدرسة | ضعف الإيمان و الاغتراب الديني. | |
| السيارة | الانتقال و السفر و البحث عن مكان اللجوء. | |
| الفندق | الاختباء، الخوف، القلق والفرع | |
| بغداد | الغربة و الحنين، الحرية والعيش. | قتيل في الموصل |
| الموصل | الاستسلام و الموت. | |
| المستشفى | المرض، المعاناة و العلاج. | لاشيء |

خاتمة

خاتمة :

القصة جنس أدبي متحول يخضع إلى مجموعة من الدوافع و العوامل، تجعل الأديب ينقل ما يتعرض له مجتمعه من أزمات مختلفة، لأنّ الكاتب عادة لا يكتب لنفسه بل يعمل دائما على إيجاد الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه، وهذا ما نلمسه عند كنفاني الذي يعدّ قاصا مبدعا حيث ساهم في تطوير القصة القصيرة الفلسطينية و حمل رسالة التغيير كي يقاتل من أجل فلسطين، التي لم تكن مجرد وطن احتلّ إليه بل رمز يتسع لكل قضايا و عذبات الإنسان الفلسطيني، فكنفاني ربط بين القضية و الإنسان و الفن، فالقصة القصيرة الفلسطينية تأبى الموت و الفناء كشعبها و أبنائها فهي مصرّة على مواكبة تطورات الحياة و خوض غمارها و استخلاص إبداعها وهي كأي حياة طبيعية فيها الإبداع و فيها الإخفاق و التميز و التكلف، فهي تنبض بالانتماء لثقافة شعب يعيش عصر التحديات المصيرية و التناقضات الفكرية و الازدواجيات القيمة .

من خلال المكان و رمزيته وتلاحم الشخصية وارتباطها فيه عبر كنفاني عن كل ما يريد مستخدما الأساليب السردية المتنوعة و المتعددة منها الذاتي ومنها أسلوب الراوي المفرد و الحوار إلى غير ذلك، وقد جاءت هذه الأساليب السردية دقيقة تخدم المكان و الحدث معا، فكان لكل أسلوب جماليته التي أسهمت في إضفاء بعد جديد للمكان و أظهرت ميزة الأصالة و الخصوصية للمكان، كما نجد أنّ المكان عند كنفاني ليس مجرد ديكور للشخصية و الأحداث القصصية و إنّما يعدّ عاملا أساسيا يحتوي شخصياته بقوة، و المكان عنده قوة نصية فعّالة لها دور أساسي في تماسك النص القصصي .

تتصف قصص غسان كنفاني بمبدأ الوحدة، وهذا المبدأ يعدّ أساسا جوهريا في بناء القصة القصيرة فيجب أن تشتمل القصة على فكرة واحدة وهدف واحد و مبدأ الوحدة هو ما يقوم بتمييز كل قصة قصيرة عن غيرها.

قصص غسان كنفاني متعلقة بالمكان حيث عبرت عن رؤية الكاتب اتجاه واقع و حياة الشعب الفلسطيني كما تشغل هذه القصص في استعادتها الماضي على الذاكرة من خلال استرجاع الأبطال للماضي البعيد، كاسترجاع زمن الطفولة كما نجد أنّ كنفاني اعتمد في مجموعته أرض البرتقال الحزين على دلالات ورموز متنوعة ارتبطت بالاحتلال الصهيوني (الصراصير، الدود، الجراد، و الضباع...) كما نجد أرض البرتقال الحزين رمز لفلسطين، إضافة إلى الأحمر الذي يمثل الدم الذي ينفقه الإنسان الفلسطيني للحصول على الأخضر الذي يمثل الأمل، ولجوء القاص الفلسطيني في الأرض المحتلة إلى الرمز لم يكن مقصودا لذاته أو لمجرد التجريب أو لإثبات قدراته الفنية و إنّما جاء تعبيراً عن حاجة وضرورة واقعية واستخدامه كوسيلة للتعبير عن أفكارهم وأرائهم .

تكشف القصص المختارة عن جملة من علاقات الصراع المكاني التي تعيشها الشخصية القصصية، ولعل أهمها الصراع على الأرض، حيث مثلت المدينة الوطن مكانا طاردا للأبطال، يضيق بالشخصية ويبرز عامل قهر وتهميش يدفعها إلى الرحيل إلى فضاءات المنفى، كما جاءت الأمكنة في القصص السابقة مفتوحة حيث نجد : المدينة و الشارع و القرية والوطن ...وكذلك نجد الأمكنة المغلقة كالبيت و الغرفة و المدرسة و المستشفى و غيرها، والتي تعتبر أماكن إقامة الشخصيات و تحركها .

إضافة إلى عنصر التكرار في هذه المجموعة شكل من أشكال الإيقاع فيها فقد ورد التكرار في الكثير من الجمل و الكلمات و الأحداث.

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

* القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

1- الكتب:

1. حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 1987م.
2. حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.
3. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 2000.
4. سعيد يقطين، لقال الراوي، البنيات الحكائية في السير التبعية، بيروت المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط1، 1997.
5. سينرا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
6. شاكرا النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار الفرس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1994.
7. شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكلاسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
8. عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى خلف، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
9. عبد الله حبيب كاظم، سالم جمعة كاظم، أبنية الحدث في الاعتراف الأخير مالك بن ريب، ع25. 2012.

10. عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للعنوان الجزائري.
 11. غاستون باشلار، جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1984م.
 12. غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، دار المنشورات الرمال، 2013، قبرص.
 13. فرحان اليحي، تجليات المكان في أقاصيص جولانية، الموقف الأدبي، ص382، المؤسسة العربية السورية، 2003.
 14. فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاث روايات الجنوة، الحصار، أغنية الماء والنار، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1، 2003.
 15. قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
 16. محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2001.
 17. مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2001.
 18. ميساء سليمان الإبراهيم، البنية السردية في كتاب الامتناع والموانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2012.
- 2- المعاجم و الموسوعات:**
19. ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج47، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1301هـ.

20. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، مج 1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.
21. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مج01، ج04، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2002م.
22. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، ج2، 1982.
23. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984م.
24. لطيف ريتوفي، معجم المصطلحات (نقد الرواية)، مكتبة لبنان، ط1، 2002.
25. محمد مرتاض الزبيدي، تاج العروس، ج36، دار صادر الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م.
26. ياسين النصير، الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة 195، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.

3- المجلات و الجرائد :

27. صقر أبو فخر: المكان والرمز في الرواية الفلسطينية، جريدة الأيام، ع6995، 2015/06/30.
28. ماجدة حمود، الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية، اتحاد العرب، دمشق، 2003.

4- الرسائل الجامعية:

29. جميل إبراهيم أحمد كلاب، الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة 1967-1987، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004 - 2005.

30. حسين محمد حسين الحلبي، الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2008.
31. جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013.
32. غيداء شلاش: المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية، كلية التربية للبنات، ج11، ع2، 2011م.
33. فتحي فؤاد محمد زيدان، التفاحة النهرية للقااص محمد نفاع في ضوء أعماله القصصية السابقة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2016.

الفهرس

الفهرس

إهداء

شكر و عرفان

مقدمة ----- أ

10 ----- الفصل الأول: الماهية و المفهوم

11 ----- 1- مفهوم المكان

11 ----- 1-1- المكان لغة

12 ----- 1-2- المكان اصطلاحا

13 ----- 1-3- المكان في القرآن الكريم

14 ----- 1-4- المكان في الفلسفة الغربية القديمة

15 ----- 1-5- المكان في الفلسفة الغربية الحديثة

16 ----- 1-6- المكان في الفلسفة العربية القديمة

16 ----- 1-7- المكان نفسيا

17 ----- 2- الحضور المكثف للمكان في القصة الفلسطينية

22 ----- 3- أشكال المكان في السرد

23 ----- 3-1- المكان فضاء مفتوح

30 ----- 3-2- المكان فضاء مغلق

36 ----- 4- تجليات المكان و علاقته بالشخصية

41 ----- 4-1- العلاقة الحميمة بين الشخصيات و المكان

42 ----- 4-2- علاقة الكراهية بين الشخصيات و المكان

| | |
|-----|---|
| 43 | 5-العلاقة بين الحدث و المكان----- |
| 47 | الفصل الثاني: تجليات المكان في المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين - |
| 48 | تقديم مجموعة أرض البرتقال الحزين----- |
| 49 | 1-تجليات المكان في قصة أبعد من الحدود----- |
| 53 | 2-تجليات المكان في قصة الأفق وراء البوابة----- |
| 57 | 3-تجليات المكان في قصة السلاح المحرم----- |
| 4 | 4-تجليات المكان في قصة ثلاث أوراق من فلسطين(ورقة من الرملة، ورقة من الطيرة، |
| 61 | ورقة من غزّة----- |
| 74 | 5-تجليات المكان في قصة الأخضر و الأحمر(النزال، جداول الدم، الموت للنّد |
| 76 | 6-تجليات المكان في قصة أرض البرتقال الحزين----- |
| 86 | 7-تجليات المكان في قصة قتيل في الموصل----- |
| 90 | 8-تجليات المكان في قصة لا شيء----- |
| 93 | 9-جدول دلالات الأماكن في المجموعة القصصية أرض البرتقال الحزين..... |
| 95 | الخاتمة----- |
| 99 | المصادر و المراجع----- |
| 104 | الفهرس----- |

